شرح

كشف الشبهات

شرح وتعليق العلامة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله

إعداد

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

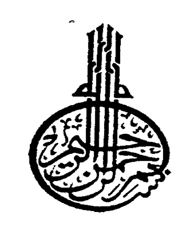
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين





شرح

كشف الشبهات





رقم الإيداع
٢٠٠٨/١٦٥٤٢

الترقيم الدولي
977-331-457-2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠-٠٢-٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com



ترجمة المؤلف
شيخ الإسلام الإمام
محمد بن عبدالوهاب

* **نسبه:**

هو الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تميم.

* **مولده:**

وُلد هذا العالِمْ في بلدة العيينة سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالِمْ كبير وجده سليمان عالِمْ نجد في زمانه.

* **نشأته:**

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً، وكان موضع الاعجاب من والده لقوة حفظه. وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها ومنهم العلّامة الشيخ عبدالله بن إبراهيم الشمّري، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمّري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرّفاه بالمحدث الشهير

محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ قد وهبه الله فهماً ثاقباً، وذكاءً مفرطاً، وأكب على المطالعة والبحث والتأليف، وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة، وقد خط كتباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولما توفي والده أخذ يعلن جهراً بالدعوة السّلفيّة إلى توحيد الله وانكار المنكر ويهاجم المبتدعة وغيرهم من المشركين، وقد شدّ أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره.

* مؤلفاته:

له ـ رحمه الله تعالى ـ مؤلفات نافعة نذكر منها:

١ ـ الكتاب الجليل المفيد المسمى «كتاب التوحيد».
٢ ـ كشف الشبهات.
٣ ـ الكبائر.
٤ ـ مختصر الإنصاف والشرح الكبير.
٥ ـ مختصر زاد المعاد.
٦ ـ فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

* وفاتـــــه :

وقد توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٠٦هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بقلـــم

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

عفا الله عنه

ترجمة الشارح
فضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين
- حفظه الله تعالى -

* **نسبه:**

هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي.

* **مولده:**

وُلِدَ في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان المبارك ١٣٤٧هـ.

* **نشأته:**

قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ - رحمه الله - فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - قد أقام إثنين من طلبة العلم عنده ليُدَرِّسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ علي الصالحي والثاني الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع - رحمه الله - قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبدالرحمن السعدي ومنهاج السالكين في الفقه للشيخ عبدالرحمن أيضاً، والآجرومية والألفية.

وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي الذي يُعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف.

وكانت لفضيلة الشيخ منزلة عظيمة عند شيخه ـ رحمه الله ـ فعندما انتقل والد الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن ينتقل معه فضيلة ولده الشيخ حفظه الله فكتب له الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ (إن هذا لا يمكن نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد).

ويقول فضيلة الشيخ ـ حفظه الله ـ «إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة وكان رحمه الله ـ على قدر كبير في العلم والعبادة، وكان يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً».

قرأ على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثاني فابتدأ عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية.

يقول الشيخ «تأثرت بالشيخ عبدالعزيز بن باز ـ حفظه الله ـ

من جهة العناية بالحديث وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس».

وفي عام ١٣٧١هـ جلس للتدريس في الجامع، ولما فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها في عام ١٣٧٢هـ يقول الشيخ ـ حفظه الله ـ:

«دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي، بعد أن استأذنت من الشيخ عبدالرحمن السعدي عليه رحمة الله، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت أيضاً من شاء أن يقفز ـ كما يعبرون ـ بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الاجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن» ا.هـ.

وبعد سنتين تخرج وعين مدرساً في معهد عنيزة العلمي مع مواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبدالرحمن السعدي.

ولما توفي فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسـلامية بالقصيم حتى الآن، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ولفضيلة الشيخ حفظه الله نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل وتبصير الدعاة في كل مكان وله جهود مشكورة في هذا المجال.

والجـدير بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - قد عرض بل ألـح على فضيلة الشيخ في تولي القضاء، بل أصـدر قراره بتعيينـه حفـظه الله تعـالى رئيساً للمحكمة الشرعية بالأحساء فطلب منه الاعفاء، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح رحمه الله تعالى بإعفائه من منصب القضاء.

* **مؤلفاتـــه:**

له حفـظه الله تعـالى مؤلفـات كثيرة تبلغ ٤٠ مابين كتاب ورسالة -وسوف تجمع إن شاء الله تعالى في مجموع الفتاوى والرسائل.

المقدمـــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعـــد:

فهـــذا شرح يســـير على كتـاب شيخ الإسـلام محمـد بن عبـدالـوهاب المسمى «**كشف الشبهات**» والذي أورد فيه المؤلف بضع عشرة شبهة لأهل الشرك وأجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل مع سهولة المعنى ووضوح العبارة أسأل الله تعالى أن يثيبه على ذلك وأن ينفع بذلك العباد إنه على كل شيء قدير.

محمد بن صالح العثيمين



بسم (١) الله (٢) . . . .

---

(١) ابتدأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله ـ عز وجل ـ فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة.

والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام تقديره: بسم الله أكتب.

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخراً لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً باسم الله نبتدىء ما يدرى بماذا نبتدىء، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد.

(٢) لفظ الجلالة علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض**﴾[سورة إبراهيم، الآيتان: ١، ٢] لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هي عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة

تابعاً تبعية النعت للمنعوت، ولهذا قال العلماء أعرف المعارف لفظ (الله) لأنه لا يدل على أحد سوى الله - عز وجل -.

(١) الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله لا يطلق على غيره.
ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

(٢) الرحيم اسم يطلق على الله - عز وجل - وعلى غيره.
ومعناه: ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة، فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٢١]. والمراد بالرحمن الواسع الرحمة.

اعْلَمْ (١) . . . .

(١) العلم هو «إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً».
ومراتب الإدراك ست:ـ
الأولى: العلم وتقدم تعريفه.
الثانية: الجهل البسيط وهو «عدم الإدراك بالكلية».
الثالثة: الجهل المركب وهو «إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه» وسمي مركباً لأنه جهلان: جهل الإنسان بالواقع، وجهله بحاله حيث ظن أنه عالم وليس بعالم.
الرابعة: الوهم وهو «إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح».
الخامسة: الشك وهو «إدراك الشيء مع احتمال ضد مساوٍ».
السادسة: الظن وهو «إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح».
والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري:
فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.
والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

رَحِمَكَ الله (١) أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ إِفْرَادُ الله - سُبْحَانه - بالعبادة (٢)

(١) أي أفاض الله عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها، هذا إذا أفردت الرحمة، أما إذا قرنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة التوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل. وصنيع المؤلف - رحمه الله - يدل على شفقته وعنايته بالمخاطب.

(٢) التوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّد، أي جعل الشيء واحداً، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد، وإثباته له، لأن النفي وحده تعطيل، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فمثلاً لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده.

وفي الإصطلاح عرف المؤلف - رحمه الله تعالى - التوحيد بقوله «التوحيد هو إفراد الله - عز وجل - بالعبادة» أي أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً بل تفرده وحده بالعبادة محبة، وتعظيماً، ورغبة، ورهبة.

ومراد الشيخ - رحمه الله تعالى - التوحيد الذي بعثت الرسل=

لتحقيقه لأنه هو الذي حصل الإخلال به والخلاف بين الرسل وأممهم .

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: «إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به» وأنواعه ثلاثة :

الأول: توحيد الربوبية وهو «إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير» قال الله ـ عز وجل ـ **﴿الله خالق كل شيء﴾** [سورة الزمر، الآية: ٦٢]. وقال تعالى: **﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو﴾** [سورة فاطر، الآية: ٣]. وقال تعالى: **﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾**[سورة الملك، الآية: ١]، وقال تعالى: **﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾**. [سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

الثاني: توحيد الألوهية وهو «إفراد الله تعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده كما يعبد الله أو يتقرب إليه كما يتقرب إلى الله تعالى» .

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته الواردة في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل» .

وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ (١) . . . .

(١) مراد الشيخ - رحمه الله تعالى - هنا توحيد الألوهية فهو دين الرسل فكلهم أرسلوا بهذا الأصل الذي هو التوحيد كما قال الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]. وهذا النوع هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم، واستباح دماءهم، وأموالهم، وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم.

ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

فإفراد الله وحده بالعبادة هو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده كما قال الشيخ - رحمه الله - فها هو أول الرسل نوح عليه السلام يقول كما حكى الله عنه: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله﴾ [سورة هود، الآيتان: ٢٥، ٢٦] وقال تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ [سورة هود، الآية: ٥٠] وقال تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما-

لكم من إلـه غيره﴾ [سورة هود، الآية: ٦١] وقال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ [سورة هود، الآية: ٨٤].

(١) هذا حق فإنه لم يبعث قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسول وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن ادريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح لأن الله تعالى يقول: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [سورة النساء، الآية: ١٦٣] وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة «أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض»(١) فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء.

فنوح أول الرسل بالكتاب، والسنة، والإجماع.

ونوح عليه الصلاة والسلام أحد الرسل الخمسة الذين هم أولوا العزم وهم: محمد صلى الله عليه وسلم، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في سورة الأحزاب وسورة الشورى.

(١) البخاري/ كتاب التوحيد/ باب كلام الله مع الأنبياء، ومسلم/كتاب الإيمان/ باب ادنى أهل الجنة منزلاً.

أَرْسَلَهُ الله إلى قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا (١) ....

---

(١) يعني أن الله أرسل نوحاً عليه الصلاة والسلام إلى قومه لما وقع فيهم الغلو في الصالحين، وقد بوب المؤلف - رحمه الله - في كتاب التوحيد على هذه المسألة فقال: «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين».

والغلو هو: «مجاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء قدحاً أو مدحاً» والغلو ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الغلو في العقيدة كغلو أهل الكلام في الصفات حتى أدى بهم إما إلى التمثيل، أو التعطيل.

والوسط مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

القسم الثاني: الغلو في العبادات كغلو الخوارج الذين يرون كفر فاعل الكبيرة، وغلو المعتزلة حيث قالوا إن فاعل الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين وهذا التشدد قابله تساهل المرجئة حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب.

والوسط مذهب أهل السنة والجماعة أن فاعل المعصية ناقص الإيمان بقدر المعصية. =

فِي الصَّالِحِينَ (١) : وَدّاً، وَسُوَاعاً، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْراً (٢)

= **القسم الثالث**: الغلو في المعاملات وهو التشدد بتحريم كل شيء وقابل هذا التشدد تساهل من قال بحل كل شيء ينمي المال والاقتصاد حتى الربا والغش وغير ذلك.

والوسط أن يقال تحل المعاملات المبنية على العدل وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة.

القسم الرابع: الغلو في العادات وهو التشدد في التمسك بالعادات القديمة وعدم التحول إلى ما هو خير منها.

أما إن كانت العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة.

(١) الصالح هو الذي قام بحق الله وبحق عباد الله.

(٢) هذه أصنام في قوم نوح عليه السلام كانوا رجالاً صالحين، وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت»[1] =

(١) البخاري / كتاب التفسير - سورة نوح - رقم [٤٦٣٦].

وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)، ....

= وهذا التفسير فيه إشكال حيث يقول رضي الله عنه «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، وظاهر القرآن أنها قبل نوح قال الله تعالى: ﴿وقال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ومكروا مكراً كباراً وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾. [سورة نوح، الآيات: ٢١ ـ ٢٣] فظاهر الآية أن قوم نوح كانوا يعبدونهم وأنه نهاهم عن ذلك.

فسياق الآية يدل على ما ذكره ابن عباس إلا أن ظاهر السياق أن هؤلاء القوم الصالحين كانوا قبل نوح عليه السلام والله أعلم.

(١) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠]. فلا نبي بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فإن قيل: إن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ينزل آخر الزمان وهو رسول.

فنقول: هذا حق ولكنه لا ينزل على أنه رسول مجدد، بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام لأن الواجب على عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد =

وَهُوَ كَسَرَ صُوَرَ هؤلاء الصَّالِحِينَ (١) أَرْسَلَهُ الله إلى أُنَاس يَتَعَبَّدُون وَيَحُجُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيذكُرُونَ الله كَثِيراً (٢) وَلكنَّهُم يَجْعَلُونَ بَعْض المَخْلُوقَات وَسَائط بَيْنَهم وبَيْنَ الله، يَقُولونَ نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إلى

= صلى الله عليه وسلم، وإتباعه ونصره كما قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨١]. وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم، كما صح ذلك عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه، وغيره.

(١) أي أن النبي صلى الله عليه وسلم، كسر صور الأصنام وذلك يوم الفتح حين دخل الكعبة فوجد حولها وفيها ثلثمائة وستين صنماً وجعل يطعنها عليه الصلاة والسلام بالحربة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾.[1] [سورة الإسراء، الآية: ٨١].

(٢) أي أن الله بعث رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام إلى قوم =

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب التفسير - سورة الإسراء.

الله ونُرِيدُ شَفَاعَتَهُم عِنْده مِثْل المَلائكةِ، وعَيسى ومَرْيَم وأناسٍ غيْرِهم مِنَ الصَّالِحِينَ (١) ....

- يتعبــدون لكنهــا عبــادة باطلة ما أنـزل بها من سلطان، ويتصدقون ويفعلون كثيراً من أمور الخير لكنها لا تنفعهم، لأنهم كفار، ومن شرط التقرب إلى الله تعالى أن يكون المتقرب إلى الله مسلماً وهؤلاء غير مسلمين.

(١) أي أنهم إنما يعبدون هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى فهم مقرون بأنها دون الله، وأنها لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، وأنهم شفعاء لهم عند الله ـ عز وجل ـ، ولكن هذه الشفاعة شفاعة باطلة لا تنفـع أصحـابها لأن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [سورة المدثر، الآية: ٤٨]. وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله ـ عز وجل ـ والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد، فتعلق المشركـين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [سـورة يونس، الآية: ١٨] تعلق باطـل غير نافع بل هذا لا يزيدهم من الله تعـالى إلا بعـداً، على أن المشركين يرجون شفـاعـة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام، وهذا من جهلهم وسفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعداً.

فَبَعَثَ الله محمداً صَلَّى الله عَلَيْه وسلم يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَ أبيهِمْ إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلامُ ويُخْبِرُهُم أنَّ هذا التَّقَرُّبَ والاعْتِقادَ مَحْضُ حَقِّ الله تعالى لا يَصْلُحُ مِنْهُ شيء لِغَيْرِ الله، لا لِملكٍ مُقَرَّبٍ ولا لِنَبيٍّ مُرْسَلٍ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا (١).

وَإلاَّ فَهؤلاء المُشْرِكُون يَشْهَدُونَ أنَّ الله هُوَ الخالِقُ وَحْده لا شريك له، وأنَّه لا يرْزُقُ إلاَّ هو، ولا يُحيي ولا يُميتُ إلا هُوَ، ولا يُدَبِّـرُ الأمْرَ إلا هو، وأنَّ جَمِيع السَّموات وَمَنْ فِيهِنَّ، والأرَضين

(١) يقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إنهم مازالوا على هذا الكفر وهو عبادة هذه الأصنام لتقربهم بزعمهم إلى الله تعالى حتى بعث الله رسوله وخاتم أنبيائه محمداً صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى بالتوحيد الخالص يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك قال الله تعالى: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٢] ويبين لهم أن العبادة حق لله وحده، وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما فقال تعالى: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**﴾. [سورة يس، الآيتان: ٦٠، ٦١].

السَّبع ومنْ فِيهنَّ؛ كُلُّهُمْ عَبِيده وتحْت تصرُّفه وقَهْرِه (١) . . .

= وقـولـه: «يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم» كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٣].

وقوله: «محض حق الله». أي خالص حقه.

(١) يقول ـ رحمه الله تعالى ـ إن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقـرون بأن الله وحده هو الخـالق، وأنـه هو الذي خلق السماوات والأرض، وأنه هو الـذي خلقهم، وأنه هو المدبر للأمور كما ذكر الله عنهم في آيات عديدة من القـرآن الكـريم قال الله تعـالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٩]. وقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٨٧]. والآيات في هذا المعنى كثـيرة، لكن هذا لا ينفعهم؛ لأن هذا إقـرار بالـربوبية فقط، ولا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة الله وحده.

واعلم أن الإقرار بالربوبية يستلزم الاقرار بالألوهية، وأن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية.

أما الأول: فهو دليل ملزم أي أن الإقرار دليل ملزم لمن أقر=

فَإِذَا أَرَدْت الدَّلِيل على أَنَّ هؤلاء الَّذِينَ قَاتَلهُم رسُول الله، صلَّى الله عَلَيْه وسَلم، يُشْهَدُون بهذا (١) فَاقْرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السماء والأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ومَنْ يُخْرِجِ الحيَّ مِنَ الميِّتِ ويُخْـرِجُ الميِّت مِنَ الحيِّ وَمَنْ يُدَبِّـرُ الأَمْـرَ فَسَيَقُولُون الله فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ (٢) [سورة يونس، الآية: ٣١].

= به أن يقر بالألوهية لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق وهو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كل شيء فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره.

والثاني: متضمن للأول يعني أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية لأنه لا يتأله إلا للرب - عز وجل - الذي يعتقد أنه هو الخالق وحده وهو المدبر لجميع الأمور سبحانه وتعالى.

(١) ذكر المؤلف - رحمه الله - هنا دليل ما قرر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية، ولكنه أتى به على سبيل السؤال والجواب ليكون هذا أمكن وأثبت وأتم في الاستدلال فقال: «**فإذا أردت الدليل. . . . فاقرأ قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾** الآية».

(٢) **﴿فقل أفلا تتقون﴾** يعني إذا كنتم تقرون بهذا أفلا تتقون الله الذي أقررتم له بتمام الملك وتمام التدبير وأنه وحده الخالق =

وَقَـوْلَهُ: ﴿قُلْ لمن الأَرْضُ (١) وَمَنْ فِيها إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُون لله قُلْ أفَلا تَذَكرُون. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولون لله قُلْ أفلا تَتَّقون. قُلْ مَنْ بِيَدِه مَلَكوتُ كُلِّ شيءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون سَيَقُولونَ لله قُلْ فَأنَّى تُسْحَرُون﴾ [سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤ ـ ٨٩]. وَغَيْرَ ذَلِك من الآيات ....

= الرازق المالك للسمع والأبصار، المخرج للحي من الميت، وللميت من الحي المدبر لجميع الأمور، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام، أي أنكم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله وتعبدوه وحده لا شريك له.

(١) وقوله يعني واقرأ قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ إلى آخر الآيات وهذه الآيات مما يدل على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقرون بتوحيد الربوبية فإنهم يقرون بأن الأرض ومن فيها لله لا شريك له، ويقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه رب العرش العظيم، ويقرون بأن بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه، وكل هذا ملزم لهم بأن يعبدوا الله وحده ويفردوه بالعبادة، ولهذا جاء توبيخهم بصيغة الاستفهام في ختام كل=

فإذَا تَحَقَّقْت أنَّهُمْ (١) مُقِـرُّونَ بِهَذَا (٢) وَلَمْ يُدْخِلْهُم في التَّـوحِيـد الذي دَعَاهُمْ إليه رَسُول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وَعَرَفْت أنَّ التَوْحِيد الذي جَحَدُوه هُو تَوْحِيد العِبَادَةِ الذي يُسَمِّيه المشرِكُونَ في زَمَانِنَا: «الاعْتِقَاد» (٤) . . . .

= آية من الآيات الثلاث.

والآيات الدالة على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقرون بتوحيد الربوبية كثيرة.

(١) أي الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين.

(٢) يعني توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

(٣) أي أن إيمانهم بأن الله هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور لم يدخلهم في توحيد العبادة الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يعصم دماءهم وأموالهم.

(٤) أي إذا عرفت أن الذي أنكروه هو توحيد العبادة الذي يسميه كما قال الشيخ ـ رحمه الله ـ مشركوا زماننا «الاعتقاد» تبين لك أن هذا الذي أقروا به لا يكفي في التوحيد بل ولا يكفي في الإسلام كله فإن من لم يقر بتوحيد العبادة فإنه ليس بمسلم حتى ولو أقر بتوحيد الربوبية ولهذا قاتل النبي صلى الله عليه=

كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ الله سُبْحَانَهُ لَيْلاً وَنَهَاراً، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائِكَة لأجْل صَلاحِهِمْ وقُرْبهم من اللهِ لِيَشْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحاً مِثْل . اللّاتِ، أَوْ نَبِياً مِثْل عِيسَى(١) . . . .

= وسلم المشركين مع أنهم يقرون بتوحيد الربوبية كما تقدم.

(١) يعني أن هؤلاء المشركين في عبادة الله كانوا يدعون الله تعالى إذا اضطروا إلى ذلك، ومنهم من يدعو الملائكة لقربهم من الله - عز وجل -، ويزعمون أن من قرب من الله سبحانه وتعالى فهـو مستحق للعبادة وهذا من جهلهم فإن العبادة حق الله وحده لا يشركه فيها أحد.

وأن منهم من يدعو اللات، واللات بالتشديد اسم فاعل من اللت، وأصله رجـل كان يلت السويق للحجاج، أي يجعل فيه السمن ويطعمه الحجاج فلما مات عكفوا على قبره ثم عبدوه، وأن منهم من يعبد المسيح عليه السلام لكونه آية من آيات الله، وأن منهم من يعبـد الأولياء لقـربهم من الله سبحانه وتعالى، وكل هذا من تزيين الشيطان لهم أعمالهم التي ضلوا بها عن الصراط المستقيم قال الله تعـالى: ﴿قـل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾.

[سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ - ١٠٥].

وَعَرَفْت (١) أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، قَاتَلَهُمْ على هذا الشِّرك (٢) وَدَعَـاهُمْ إلى إخْلاص العِبَادَةِ لله وَحْدَهُ (٣) كما قال الله تعـالى: ﴿فَلا تَدْعُو مع الله أحَداً﴾ وكما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الحقِّ وَالذِينَ يَدْعُون مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لهُمْ بشيء﴾ (٤) ....[سورة الرعد، الآية: ١٤].

---

(١) هذه معطوفة على قوله «فإذا تحققت».

(٢) أي الشرك في العبادة حيث كانوا يعبدون غير الله معه وليس المراد الشرك في الربوبية؛ لأن المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يؤمنون بأن الله وحده هو الرب وأنه مجيب دعوة المضطرين وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله - عز وجل - وحده.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قاتل هؤلاء المشركين الذين لم يقروا بتوحيد العبادة بل استحل دماءهم وأموالهم وإن كانوا يقرون بأن الله وحده هو الخالق لأنهم لم يعبدوه ولم يخلصوا له العبادة.

(٣) الإخلاص لله معناه: «أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والوصول إلى دار كرامته».

(٤) يعني أن هذه الأصنام التي يدعونها من دون الله لا تستجيب=

وتَحَقَّقْتَ(١) أنَّ رَسُولَ الله، صلى الله عليه وسلم، قَاتَلَهُمْ لِيكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لله(٢)،

لهم بشيء كما قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين﴾. [سورة الأحقاف، الآية: ٥].

(١) قوله: «وتحققت» معطوف على قوله فإذا تحققت.

(٢) الدعاء على نوعين:

الأول: دعاء عبادة بأن يتعبد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة، وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾. [سورة النمل، الآية: ٨٧].

النوع الثاني: دعاء المسألة وهو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: دعاء الله سبحانه وتعالى بما لا يقدر عليه إلا هو وهو عبادة لله تعالى لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة، فمن دعا غير الله - عز وجل - بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواءً كان المدعو حياً أو ميتاً.

القسم الثاني: دعاء الحي بما يقدر عليه مثل يا فلان اسقني فلا شيء فيه.

القسم الثالث: دعاء الميت أو الغائب بمثل هذا فإنه شرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً.

(١) الذبح: «إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص».

ويقع على وجوه:

الأول: أن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا عبادة لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر لقوله تعالى: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾**. [سورة الأنعام، الآية: ١٦٢].

الثاني: أن يقصد به إكرام الضيف، أو وليمة لعرس ونحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(١) وقوله

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الأدب/ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومسلم/ كتاب الإيمان/ باب الحث على إكرام الجار والضيف

والنَّذْرُ كُلُّهُ لله(١)، والاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بالله(٢) وَجَمِيعُ أنواعِ العِبَادَاتِ كُلُّها لله،

لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج «أولم ولو بشاة»(١).

الثالث: أن يقصد به التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون**﴾ [سورة يس، الآيتان: ٧١، ٧٢]. وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

(١) النذر يطلق على العبادات المفروضة عموماً، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله عز وجل والمراد به هنا الأول فالعبادات كلها لله تعالى لقوله تعالى: ﴿**وقضى ربك ألّا تعبدوا إلا إياه**﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٣].

(٢) الاستغاثة: طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك.

وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم

(١) أخرجه البخاري/ كتاب النكاح/ باب قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾، وفي البيوع/ باب ماجاء في قوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الأرض﴾، ومسلم كتاب النكاح/ باب الصداق.

ودليله قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾. [سورة الأنفال، الآية: ٩].

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيًا في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾. [سورة النمل، الآية: ٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل. فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به، فيمنع لهذه العلة ولعلة أخرى وهي أنه ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

وَعَرَفْت(١) أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّة لَمْ يُدْخِلْهُمْ في الإسلام، وأنَّ قَصْدَهُمْ الملائكة، والأنبياء، الأَوْلِيَاء يُرِيدُون شَفَاعَتَهُمْ والتَقَرُّبَ إلى الله بِذَلك هو الذي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ، عَرَفْت حِينَئِذٍ التَّوحِيدِ الذي دَعَتْ إليْه الرُّسُل وأبى عن الاقرار به المُشْرِكُون(٢).

وَهَذَا التَّوْحِيد هُوَ مَعْنى قَوْلك: «لا إله إلاَّ الله» (٣) فَإنَّ

---

(١) قوله «وعرفت» معطوف على «تحققت» الأولى.
وقوله «عرفت» جواب « فإذا تحققت» وما عطف عليها.

(٢) قرر المؤلف ـ رحمه الله ـ أن التوحيد الذي جاءت به الرسل من الله هو توحيد الألوهية لأن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ومع هذا استباح النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وأموالهم على أنهم يعبدون الملائكة وغيرهم مما يعبدونهم من الأولياء والصالحين يريدون بذلك أن يقربوهم إلى الله وهي كما قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [سورة الزمر، الآية:٣] فهم مقرون بأن الله هو المقصود ولكنهم يقصدون الملائكة وغيرهم ليقربوهم إلى الله ومع ذلك لم يدخلهم في التوحيد.

(٣) قوله: «وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله» أي أن

الإله عِنْدَهُمْ هُو الذي يُقْصَدُ لأجْلِ هَذِه الأمُور سَوَاءٌ كَانَ مَلكاً، أو نَبِياً، أوْ وَلِياً، أو شَجَرةً، أو قَبْراً، أو جِنِّيًّا لَمْ يَرِيدُوا أنَّ الإله هُوَ الخـالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ فإنَّهُمْ يَعْلَمُون أنَّ ذَلِك لله وَحْدَهُ كما قَدَّمْتُ لَكَ، وإنَّما يَعْنُونَ بالإله ما يَعْنِي المُشْرِكُون في زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّدِ) فَأتَاهُمُ النَّبي صلَّى الله عَلَيْه وسَلَّم يَدْعُوهُمْ إلى كَلِمة التَّوْحِيد وهي «لا إله إلا الله» (١).

التوحيد الذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود حق إلا الله - عز وجل - فهم يعلمون أن معناها لا معبود حق إلا الله عز وجل، وليس معناها لا خالق، أو لا رازق، أو لا مدبر إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله كما يقوله كثير من المتكلمين فإن هذا المعنى لا ينكره المشركون ولا يردونه، وإنما يردون معنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله كما قال تعالى عنهم: ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق**﴾. [سورة ص، الآيات: ٥ - ٧].

(١) يريد رحمه الله بيان أن المشركين لا يريدون بقول لا إله إلا الله أي لا مدبر ولا خالق إلا الله، لأنهم يعرفون أن ذلك حق وإنما ينكرون معناها لا معبود حق إلا الله، وهذا الذي بدأ به=

وَالمُرَاد مِنْ هَذِه الكَلِمَة مَعْنَاها لا مُجَرَّدُ لفْظِها (١) والكُفَّارُ الجهَّالُ يَعْلَمُون أنَّ مُرَاد النَّبي صَلَّى الله عليه وسلم بِهَذِه الكَلِمَة هُو إفْرَادُ الله تعالى بالتَعلُّقِ بِهِ، والكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُون الله والبراءة مِنْهُ فَإنَّه لَمَّا قَال لَهُمْ قُولُوا: «لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهًا واحِدًا إنَّ هذا لشيء عُجَابٌ﴾ (٢) [سورة ص، الآية: ٥].

فَإذا عَرَفْت أنَّ جُهَّال الكُفَّارِ يَعْرِفُون ذلك(٣) فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإسْلام وَهُو لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِير هذه الكَلِمة ما عَرَفَهُ جُهَّال

المؤلف وأعاد، إنما قاله للتأكيد والرد على من يقول: إننا لا نعبد الملائكة أو غيرهم إلا من أجل أن يقربونا إلى الله زلفى، ولسنا نعتقد أنهم يخلقون أو يرزقون.

(١) قوله: «من هذه الكلمة» أي قول: (لا إله إلا الله).

(٢) هذه الجملة كالتي قبلها يبين فيها ـ رحمه الله ـ أن معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله، وأن المشركين قد فهموا هذا منها، وعلموا أنه ليس المراد بها مجرد لفظها، وأن المراد بها لا معبود حق إلا الله، ولهذا أنكروه مع أنهم لا ينكرون أن الله وحده هو الخالق الرازق.

(٣) أي يعرفون أن معنى لا إله إلا الله، لا معبود حق إلا الله.

الكُفَّار (١) بلْ يَظُنُّ أنَّ ذلِكَ هُو التَّلَفظُ بِحُروفِها من غَيْر اعْتِقَاد

(١) يريد المؤلف ـ رحمه الله ـ أن يبين أن من الناس من يدعي الإسلام ولا يعرفون معنى كلمة «لا إله إلا الله» حيث يظنون أن المقصود هو التلفظ بحروفها دون معرفة معناها واعتقاده.

ومن الناس من يظن أن المراد بها توحيد الربوبية أي لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله.

ومن الناس من يفسرها بأن المراد بها «إخراج اليقين الصادق عن ذات الأشياء، وادخال اليقين الصادق على ذات الله» وهذا التفسير باطل لم يعرفه السلف الصالح، وليس المراد به أن تتيقن بالله ـ عز وجل ـ وتخرج اليقين من غيره لأن هذا لا يمكن فإن اليقين ثابت في غير الله ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ [سورة التكاثر، الآيتان: ٦، ٧]. وتيقن الأشياء الواقعة الحسية المعلومة لا ينافي التوحيد.

ومن الناس من يفسرها بأنه «لا معبود إلا الله» وهذا التعريف لا يصح على ظاهره لأن هناك أشياء عبدت من دون الله ـ عز وجل ـ.

فيكون هؤلاء أجهل من الجهال الذين بعث فيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا يعرفون من معناها ما لا يعرفه هؤلاء.

القَلْب لشيء من المَعاني، والحاذِق مِنْهُمْ يَظُنُّ أنَّ مَعنَاها «لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ ولا يُدَبِّرُ الأمر إلا الله» فلا خَيْر في رَجُل جُهَّال الكُفَّار أعْلَمُ مِنْه بِمَعْنى «لا إله إلا الله».

إذَا عَرَفْتَ ما ذَكَرت لك مَعْرِفَة قَلْب (١)، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بالله الَّذي قَال الله فِيهِ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُون ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء﴾ (٢) [سورة النساء، الآية: ٤٨]. وَعَرَفْتَ دِينَ الله الَّذي

---

(١) أي عرفت معنى لا إله إلا الله الحقيقي وأن معناها «لا معبود حق إلا الله».

(٢) اختلف أهل العلم - رحمهم الله تعالى - في هذه الآية هل تشمل كل الشرك أم أنها خاصة بالشرك الأكبر

فمنهم من قال: تشمل كل شرك ولو كان أصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفره.

ومنهم من قال: إنها خاصة بالشرك الأكبر فهو الذي لا يغفره الله.

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - اختلف كلامه فمرة قال بالقول الأول، ومرة قال بالقول الثاني.

وعلى كل حال يجب الحذر من الشرك مطلقًا، لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر لأن قوله: ﴿أن يشرك به﴾

أرْسَل بِهِ الرُّسُل مِنْ أوَّلِهِم إلى آخِرِهِمْ الذي لا يَقْبَلُ الله من أحَدٍ ديناً سِوَاه(١) وَعَرَفْتَ ما أصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذا(٢).

أفَادك(٣) فائدَتَيْنِ(٤): الأولى الفَرَحُ بفَضْل الله وَرَحْمَته كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وبِرَحْمَتِه فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحوا هُوَ خَيْرٌ

﴿أن﴾ وما بعدها في تأويل مصدر تقديره «إشراكاً به» فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم.

(١) وهو عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]. وهذا هو الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾. [سورة آل عمران، الآية: ٨٥].

(٢) أي بمعنى هذه الكلمة مما تقدم ذكره عند قول المؤلف رحمه الله «فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة.. إلخ».

(٣) قوله «أفادك» جواب قوله: «إذا عرفت ما ذكرت لك.. إلخ».

(٤) يحصل ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الله تعالى فتح عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله». وهذا فضل

بِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٨]. وأفادك أيضاً الخَوْفَ العَظِيمَ (١) ....

فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإنسان يَكْفُرُ بِكَلِمة يُخْرِجُها مِنْ لِسَانِهِ وَقَدْ يَقُولُها وَهُوَ جَاهِلٌ فلا يُعْذَرُ بالجَهْل (٢) ....

عظيم من الله ورحمة، والفرح بمثل هذا مما أمر الله به ودليله ما ذكره المؤلف رحمه الله: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ وفرح العبد بما أنعم الله عليه من العلم والعبادة من الأمور المحمودة كما جاء في الحديث: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»(١).

(١) أي من أن تقع في مثل ماوقع فيه هؤلاء من الجهل بمعناها والخطر العظيم في ذلك.

(٢) تعليقنا على هذه الجملة من كلام المؤلف رحمه الله:

أولاً: لا أظن الشيخ رحمه الله لا يرى العذر بالجهل اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يعذر بالجهل وإنما لا أظن ذلك

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الصوم/ باب هل يقول إني صائم إذا شتم، ومسلم/ كتاب الصيام/ باب فضل الصيام.

من الشيخ لأن له كلاماً آخر يدل على العذر بالجهل فقد سئل - رحمه الله تعالى - عما يقاتل عليه؟ وعما يكفر الرجل به؟ فأجاب:

أركان الإسلام الخمسة، أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة؛ فالأربعة: إذا أقر بها، وتركها تهاوناً، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها؛ والعلماء: اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود؛ ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان.

وأيضاً: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، الذي أظهرناه للناس؛ وأقر أيضاً: أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر، الذي هو دين غالب الناس: أنه الشرك بالله، الذي بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، نقاتله

بكفره، لأنه عرف دين الرسول، فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك، ولكنه تبين في سب دين الرسول، مع ادعائه أنه عامل به، وتبين في مدح من عبد يوسف، والأشقر، ومن عبد أبا علي، والخضر من أهل الكويت، وفضلهم على من وحّد الله، وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: **﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾** [سورة البقرة، الآية ٨٩] وهو ممن قال الله فيه: **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾** [سورة التوبة، الآية ١٢].

النوع الثالث: من عرف التوحيد، وأحبه، واتبعه، وعرف الشرك، وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر، فيه قوله تعالى: **﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾** [سورة محمد، الآية ٩].

النوع الرابع: من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذر بأن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله، ونفسه، فهذا أيضاً كافر؛ فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل؛ ولو يأمرونه بتزوج إمرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم فعل؛ وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير، كثير؛ فهذا أيضاً كافر، وهو ممن قال الله فيهم: **﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾** - إلى قوله -: **﴿سلطاناً مبيناً﴾** [سورة النساء، الآية: ٩١] فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم: إنَّا نُكَفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنَّا نُكَفِّر من لم يُكَفِّر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن

. . . .

دين الله ورسوله.

وإذا كنا: لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبدالقادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نُكَفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ [سورة النور، الآية: ١٦].

بل نُكَفِّر تلك الأنواع الأربعة، لأجل محادتهم لله ورسوله، فرحم الله امرءاً نظر نفسه، وعرف أنه ملاق الله، الذي عنده الجنة والنار؛ وصلى الله على محمد وآله، وصحبه، وسلم.

(*) تتمـــه:

الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافاً لفظيّاً في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين، أي أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى في حقه وانتفاء المانع أو لا

ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو وجود بعض الموانع.
وذلك أن الجهل بالمكفّر على نوعين:

الأول: أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يدين بشيء ولم يكن يخطر بباله أن ديناً يخالف ما هو عليه فهذا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا، وأما في الآخرة فأمره إلى الله - تعالى - والقول الراجح أنه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله - عز وجل - والله أعلم بما كانوا عاملين، لكننا نعلم أنه لن يدخل النار إلا بذنب لقوله - تعالى -: ﴿**ولا يظلم ربك أحداً**﴾. [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

وإنما قلنا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا وهي أحكام الكفر؛ لأنه لا يدين بالإسلام فلا يمكن أن يعطى حكمه، وإنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن في الآخرة لأنه جاء في ذلك آثار كثيرة ذكرها ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «طريق الهجرتين» عند كلامه على المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة.

النوع الثاني: أن يكون من شخص يدين بالإسلام ولكنه

عاش على هذا المكفّر ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام، ولا نبهه أحد على ذلك فهذا تجري عليه أحكام الإسلام ظاهراً، أما في الآخرة فأمره إلى الله ـ عز وجل ـ وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وأقوال أهل العلم:

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٥] وقوله: **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾** [سورة القصص، الآية: ٥٩] وقوله: **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**، [سورة النساء، الآية: ١٦٥]. وقوله: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾** [سورة إبراهيم، الآية: ٤]. وقوله: **﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾** [سورة التوبة، الآية: ١١٥] وقوله: **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإنْ كنّا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو**

. . . .

أنّا أُنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ [سورة الأنعام، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان.

وأما السنة: ففي صحيح مسلم ١/١٣٤ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة** - يعني أمة الدعوة - **يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».

وأما كلام أهل العلم: فقال في المغني ٨/١٣١ «فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشىء بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ٣/٢٢٩ مجموع ابن قاسم: «إني دائماً - ومن جالسني يعلم ذلك مني - من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى،

. . . .

وعاصياً أخرى، وأني أقرر أن الله ـ تعالى ـ قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية ـ إلى أن قال ـ وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين ـ إلى أن قال ـ والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الرجل قد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً» أ. هـ. وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ١/٥٦ من الدرر السنية: «وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره». وفي ص٦٦ «وأما الكذب والبهتان فقولهم إنا نُكَفِّر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس

. . . .

عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نُكَفِّر من عبد الصنم الذي على عبدالقادر، والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نُكَفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أولم يكفر ويقاتل» ا. هـ.

وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب، والسنة، وكلام أهل العلم فهو مقتضى حكمة الله - تعالى -، ولطفه، ورأفته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه، والعقول لا تستقل بمعرفة ما يجب لله - تعالى - من الحقوق، ولو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل.

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله - تعالى - في الحكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

أما الأول فواضح حيث حكم بالكفر على من لم يكفره الله - تعالى - فهو كمن حرم ما أحل الله؛ لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى الله وحده كالحكم بالتحريم أو عدمه.

وأما الثاني فلأنه وصف المسلم بوصف مضاد، فقال: إنه كافر، مع أنه بريء من ذلك، وحري به أن يعود وصف الكفر

. . . .

عليه لما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»**[1]. وفي رواية: **«إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»**[2]. وله من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»**[3]. يعني رجع عليه.
وقوله في حديث ابن عمر: **«إن كان كما قال»** يعني في حكم الله - تعالى - وكذلك قوله في حديث أبي ذر: **«وليس كذلك»** يعني في حكم الله - تعالى -.

وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئاً منه، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجباً بعمله محتقراً لغيره فيكون جامعاً بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلى حبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله - تعالى - في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة

---

(١) (٢) أخرجه مسلم/ كتاب الإيمان/ باب بيان حال من قال لأخيه ياكافر.
(٣) أخرجه مسلم/ كتاب الإيمان/ باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم.

ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قال الله عز وجل الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**»[1]

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب، والسنة على أن هذا مكفّر لئلا يفتري على الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله ـ تعالى ـ ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُولِّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٥]. فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدى له.

ولكن هل يشترط أن يكون عالماً بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره أو يكفي أن يكون عالماً بالمخالفة وإن كان جاهلاً بما يترتب عليها؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد جـ٢ ص٣٧٦، وأبوداود/ كتاب اللباس/ باب ماجاء في الكبر، وابن ماجه/ كتاب الزهد/ باب البراءة من الكبر.

الجواب: الثاني؛ أي أن مجرد علمه بالمخالفة كاف في الحكم بما تقتضيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة؛ ولأن الزاني المحصن العالم بتحريم الزنا يرجم وإن كان جاهلاً بما يترتب على زناه، وربما لو كان عالماً ما زنا.

ومن الموانع من التكفير أن يكره على المُكَفِّر لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٦].

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف ونحو ذلك، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً**﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥]. وفي صحيح مسلم ٢١٠٤ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة**

الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

ومن الموانع أيضاً أن يكون له شبهة تأويل في الكفر بحيث يظن أنه على حق؛ لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥]. ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلاً في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]. قال في المغني ١٣١/٨: «وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك ـ يعني يكون كافراً ـ وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى» إلى أن قال «وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دماءهم، وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم، وكذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا». وفي فتاوى شيخ الإسلام

(١) أخرجه مسلم/ كتاب التوبة/ باب في الحض على التوبة والفرح بها.

ابن تيمية ١٣ / ٣٠ مجموع ابن قاسم: «وبدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب» وفي ص ٢١٠ منه «فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم. . وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن». وقال أيضاً ٢٨/٥١٨ من المجموع المذكور: «فإن الأئمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين»، لكنه ذكر في ٧/٢١٧ «أنه لم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع». وفي ٢٨/٥١٨ «أن هذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره».
وفي ٣/٢٨٢ قال: «والخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي

طالب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم، وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص، والإجماع، لم يكفروا مع أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم، فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه». إلى أن قال: «وإذا كان المسلم متأولاً في القتال، أو التكفير لم يكفر بذلك». إلى أن قال في ص٢٨٨: «وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره.. والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله - تعالى -: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾. [سورة الإسراء، الآية: ١٥]. وقوله: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾. [سورة النساء،

وَقَدْ يَقُولها وَهُو يَظُنُّ أنها تُقَرِّبُهُ إلى الله كما كان يَظُنّ المُشْركُون خُصُوصاً إنْ ألهمك الله تعالى ما قَصَّ عَنْ قَوْم مُوسى معَ صَلاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أتَـوهُ قَائِلين: ﴿اجْعَـل لنا إلهاً كما لَهُمْ آلهَةٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٨]. فَحِينئذٍ يَعْظُمُ خَوْفُك وَحِرْصُك على ما يُخَلِّصُك مِنْ هذا وأمْثَالِهِ (١) ....

الآية: ١٦٥]. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مـا أحـد أحب إليـه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين»(١).

والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم.

(١) حينـما حذر الشيخ ـ رحمـه الله ـ من أمـرين أحدهما خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء في معنى التوحيد أنه هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير بين ـ رحمه الله ـ أن الواجب على الإنسان أن يكون على خوف دائماً، ثم يذكر

---

(١) البخاري/ كتاب التوحيد/ باب قول النبي ﷺ (لا شخص أغير من الله)، ومسلم/ كتاب اللعان.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانه مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً بِهَذا التَّوحِيدِ إِلاَّ جَعَلَ له أَعْدَاءً كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً﴾ (١) [سورة الأنعام، الآية: ١١٢].

حال القوم الذين قالوا لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ١٣٨، ١٣٩]. فبين لهم أن سؤالهم أن يجعل لهم آلهة كما كان هؤلاء لهم آلهة من الجهل فهذا يؤدي إلى خوف الإنســان على نفســه من أن يتيه في الضـلالات والجهالات حيث يظن أن معنى «لا إله إلا الله» أي لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله - عز وجل - وهذا الذي قاله الشيخ - رحمه الله - وحذر منه وقع فيه عامة المتكلمين الذي تكلموا في التوحيد حيث قالوا إن معنى «لا إله إلا الله» أي لا مخترع ولا قادر على الاختراع إلا الله ففسروا هذه الكلمة العظيمة بتفسير باطل لم يفهمه أحد من المسلمين، بل ولا غير المسلمين حتى المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة أكثر مما يعرفها هؤلاء المتكلمون.

(١) نبه المؤلف - رحمه الله تعالى - في هذه الجملة على فائدة عظيمة

حيث بين أن من حكمة الله ـ عز وجل ـ أنه لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداءً من الإنس والجن، وذلك أن وجود العدو يمحص الحق ويبينه فإنه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر، وهذا الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضاً لاتباعهم فكل اتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء قال الله تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾** وقال: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾** [سورة الفرقان، الآية: ٣١]. فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل واتباعهم وعلى ما جاءوا به بأمرين:

الأول: التشكيك.

الثانية: العدوان.

أما التشكيك فقال الله تعالى في مقابلته **﴿كفى بربك هادياً﴾** لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء.

وأما العدوان فقال الله تعالى في مقابلته **﴿ونصيراً﴾** لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء.

فالله تعالى يهدي الرسل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء، فعلينا أن لا نيأس لكثرة الأعداء

وقَدْ يَكُونُ لأعْدَاءِ التَّوحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرةٌ وكُتُبٌ وحُجَجٌ كما قال الله تعـالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِنَ العلم﴾ (١)[سورة غافر. الآية ٨٣]

وقوه من يقاوم الحق فإن الحق كما قال ابن القيم ـ رحمه الله:

الحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن

فلا يجوز لنا أن نيأس بل علينا أن نطيل النفس وأن ننتظر وستكـون العـاقبـة للمتقين، فالأمل دافع قوي للمضي في الـدعـوة والسعي في إنجاحها، كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة.

(١) يعني أن أعداء الرسل الذين يجادلونهم ويكذبونهم قد يكون عندهم علوم كثيرة وكتب وشبهات يسمونها «حججاً» يلبسون بها على الناس فيلبسون الحق بالباطل كما قال تعالى: **﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾** وهذا الفرح مذموم؛ لأنه فرح بغير ما يرضي الله فيكون من الفرح المذموم.

وأشار المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه الجملة إلى أنه ينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء من العلوم والشبهات من أجل أن نرد عليهم بسلاحهم وهذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قوماً أهل**

إِذَا عَرَفْت ذلـك، وعَرَفْت أنَّ الطريقَ إلى الله لابُدَّ لهُ مِنْ أعْـدَاء قاعِـدِين علَيْهِ، أهْلِ فَصَاحةٍ وعلْمٍ وحُجَجٍ، فَالواجِبُ عَلَيْك أنْ تَتعلَّم من دِين الله ما يَصِيرُ لَكَ سِلاحاً تُقَاتِلُ بِهِ هؤلاء الشَّياطِين الـذين قال إمَامَهُمْ ومُقَـدَّمُهم لِرَبِّـك - عزَّ وَجَـلَّ - ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَك المُسْتَقِيم ثُمَّ لآتِيَنَّهُم من بَيْنِ أَيْدِيهِم ومِنْ خَلْفِهِم وعن أيمانهم وَعَنْ شَمَائِلِهِم ولا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِيْن﴾ (١)

[سورة الأعراف، الآيتان: ١٦، ١٧].

كتاب»(١) وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاءوا به.

(١) إذا عرفت هذا أي أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها الحق بالباطل فعليك أن تستعد لهم، والإستعداد لهم يكون بأمرين:-

أحدهما:- ما أشار إليه المؤلف - رحمه الله - بأن يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء وباطلهم.

الثاني:- أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم

---

(١) رواه البخاري/ كتاب المغازي/ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، ومسلم/ كتاب الإيمان/ باب الدعاء إلى الشهادتين.

وَلَكِنْ إذا أقْبَلْتَ على الله وأصْغَيْتَ إلى حُجَجِه وبَيِّنَاتِه فَلا تَخَفْ ولا تَحْزَن ﴿إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَان ضَعِيفاً﴾ (١) [سورة النساء، الآية: ٧٦]

به، ولهذا قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في كتابه درء تعارض النقل والعقل، قال: «إنه ما من إنسان يأتي بحجة يحتج بها على الباطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له».

وهـذا الأمـر كما قال رحمه الله فإن الحجة الصحيحة إذا إحتـج بها المبطل على باطله فإنها تكون حجة عليه وليست حجـة له، فعـلى من أراد أن يجادل هؤلاء يتأكد أن يلاحظ هذين الأمرين:ـ

الأمر الأول: ـ أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به.

والأمر الثاني: ـ أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يرد بها على هؤلاء.

(١) يريد المؤلف ـ رحمه الله ـ أن يشجع من أقبل على الله تعالى وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل؛ لأنها حجج واهية وهي من كيد الشيطان وقد قال الله تعالى: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

وفي ذلك يقول القائل:

وَالعَامِّي مِنْ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ ألفاً مِن علماء هؤلاء المُشْرِكِين

كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الغَالِبُونَ﴾(١) [سورة الصافات، الآية: ١٧٣].

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر ومكسور

(١) قال الشيخ رحمه الله تعالى: «**والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين**» واستدل بقوله تعالى ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ العامي من الموحدين يعني من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة (الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات)، يغلب ألفاً من علماء المشركين؛ لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون الله - عز وجل - توحيداً ناقصاً حيث إنهم لا يوحدونه إلا بتوحيد الربوبية فقط، وهذا توحيد ناقص ليس هو توحيداً في الحقيقة بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل المشركين الذين يوحدون الله هذا التوحيد، ولم ينفعهم هذا التوحيد ولم تعصم به دماءهم وأموالهم، والعامي من الموحدين يقر بأنواع التوحيد الثلاثة:-

توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، فيكون خيراً من هؤلاء.

فَجُنْدُ الله هُمُ الْغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ واللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُم الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ والسِّنَانِ (١) ....

(١) أشار المؤلف - رحمه الله - إلى أن جند الله وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين:
الأول: الحجة والبيان وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان.
الثاني: من يجاهد بالسيف والسنان وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم وفي هذا والذي قبله يقول الله - عز وجل - **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾**. [سورة التحريم، الآية: ٩].
والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخلص المعلنين لكفرهم أولاً، ثم يجاهدون بالسيف والسنان ثانياً، ولا يجاهدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم.
والواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا، بل أن يهاجموا إذا

وإنَّما الخوْفُ على المُوَحِّدِ الذي يَسْلُكُ الطريقَ وَليْسَ مَعَهُ سِلاحٌ (١).

وَقَدْ مَنَّ الله تعالى عَلَيْنا بِكِتَابِهِ الذي جَعَلَهُ: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شيءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً وبُشْرَى للمُسْلِمِين﴾ (٢) [سورة النحل، الآية: ٨٩].

أمكن، بمثل ما يحاربون به الإسلام، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بها يناسب تلك الأسلحة.

(١) أي أن الخوف من أعداء الأنبياء إنما هو على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح؛ لأنه ليس له علم يتسلح به فيخشى أن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات ويفحم به الخصم؛ لأن المجادل يحتاج إلى أمرين:

الأول: إثبات دليل قوله.

الثاني: إبطال دليل خصمه.

ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق، وما عليه خصمه من الباطل ليتمكن من دحض حجته.

(٢) منَّ الله علينا بكتابه العزيز الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٢] وجعله سبحانه وتعالى تبياناً أي مبيناً لكل شيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم ثم إن تبيان القرآن

للأشياء ينقسم إلى قسمين :-

الأول: أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣] وقوله تعالى : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم التي أرضعنكم وأخواتكم من الرضعة وأمهت نسآئكم وربائبكم التي في حجوركم من نسائكم التي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلئل أبنائكم الذين من أصلبكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً * والمحصنت من النسآء إلا ما ملكت أيمنكم كتب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾[سورة النساء، الآيتان: ٢٣، ٢٤].

الثاني: أن يكون التبيان بالإشارة إلى موضع البيان مثل قوله تعالى : ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٣]. فأشار الله تعالى إلى الحكمة التي هي السنة، فإنها تبين القرآن وكذلك قوله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٣]وأيضاً[سورة الأنبياء، الآية: ٧].

فهذا يبين أننا نرجع في كل شيء إلى أهله الذين هم أهل

فَلا يَأتِي صَاحِبُ بَاطِـل بِحُجَّـةٍ إلاَّ وفي القُرْآن ما يَنْقُضُـها ويُبَيِّنُ بُطْلانَهَا، كما قال تعالى: ﴿ولا يَأتُونَك بِمَثَل إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وأحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (١) [سورة الفرقان، الآية: ٣٣].

الـذكـر به ولهـذا يذكـر أن بعض أهل العلم أتاه رجل من النصارى يريد الطعن في القرآن الكريم وكان في مطعم فقال له هذا النصراني: أين بيان كيف يصنع هذا الطعام؟ فدعا الرجل صاحب المطعم وقال له: صف لنا كيف تصنع هذا الـطعـام؟ فوصفـه، فقـال: هكذا جاء في القرآن فتعجب النصراني وقـال: كيف ذلـك؟ فقـال: إن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٢]. فبين لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بها أي أهل العلم به، وهذا من بيان القرآن بلا شك فالاحالة على من يحصل بهم العلم هي فتح للعلم.

(١) لا يأتي مبطل بحجة على باطله إلا وفي القرآن ما يبين هذه الحجـة البـاطلة، بل إن كل صاحب باطـل استدل لباطله بدليل صحيح من الكتاب والسنة فهذا الدليل يكون دليلاً عليه كما ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه درء تعـارض النقل والعقل أنه ما من صاحب بدعة وباطل يحتج لباطله بشيء من الكتاب أو من السنة الصحيحة إلا كان ذلك الدليل دليلاً عليه وليس دليلاً له.

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِين هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إلى يَوْمِ القِيَامَة، وأَنَا أَذْكُر لكَ أَشْياء مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ جَوَاباً لِكَلامٍ احْتَجَّ بِهِ الْمُشْرِكُون في زَمَانِنَا عَلَيْنَا(١).

(١) قال المؤلف رحمه الله مستدلاً على أن الرجل الموحد ستكون له حجة أبلغ وأبين من حجة غير الموحد مهما بلغ من الفصاحة والبيان كما قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ أي لا يأتونك بمثل يجادلونك به ويلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ولهذا تجد في القرآن كثيراً ما يجيب الله تعالى عن أسئلة هؤلاء المشركين وغيرهم ليبين - عز وجل - للناس الحق، وسيكون الحق بيناً لكل أحد.

ولكن هاهنا أمر يجب التفطن له وهو: أنه لا ينبغي للإنسان أن يدخل في مجادلة أحد إلا بعد أن يعرف حجته ويكون مستعداً لدحرها والجواب عنها، لأنه إذا دخل في غير معرفة صارت العاقبة عليه، إلا أن يشاء الله كما أن الإنسان لا يدخل في ميدان المعركة مع العدو إلا بسلاح وشجاعة، ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنه سيذكر في كتابه هذا كل حجة أتى بها المشركون ليحتجوا بها على شيخ الإسلام - رحمه الله - ويكشف هذه الشبهات لأنها في الحقيقة ليست حججاً،=

فَنقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمَفَصَّلٍ، أمَّا المُجْملُ:- فَهُوَ الأَمْرَ العَظِيمُ والفَائِدةُ الكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلها وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الذي أنْزَل عَلَيْك الكِتَاب مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أمُّ الكِتَاب وأُخَرُ مُتشابِهَاتٌ فَأمَّا الذين في قُلُوبِهِمْ زَيغٌ فَيَتَّبِعُون ما تَشَابه مِنْهُ ابْتِغَاء الفِتْنَةِ وابْتِغَاء تَأوِيلِه وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا الله﴾ (١) [سورة آل عمران، الآية: ٧].

ولكنها تشبيه وتلبيس.

(١) بين رحمه الله تعالى أنه سيجيب على هذه الشبهات بجوابين:-
أحدهما:- مجمل عام صالح لكل شبهة.
الثاني:- مفصل، وهكذا ينبغي لأهل العلم في باب المناظرة والمجادلة أن يأتوا بجواب مجمل حتى يشمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون ويأتي بجواب مفصل لكل مسألة بعينها قال الله تعالى: ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾ [سورة هود، الآية: ١] فذكر في الجواب المجمل رحمه الله: أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيغ كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون...**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]

وَقَدْ صَحَّ (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذَا رَأَيْتُم الذين يَتَّبِعُون ماتَشَابه مِنْهُ فَأولئِك الذين سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ».

ولهذا تجد أهل الزيغ والعياذ بالله يأتون بالآيات المتشابهات ليلبسوا بها على باطلهم فيقولون مثلاً قال الله تعالى كذا وقال في موضع آخر كذا؟ فكيف يكون، وهذا مثل ما حصل لنافع ابن الأزرق مع ابن عباس رضى الله عنهما في مناظرته التي ذكرها السيوطي في الإتقان وربما يكون غيره ذكرها وهي مفيدة.

(١) قال الشيخ ـ رحمه الله ـ وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه. فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[1] استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ بهذا الحديث على أن الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة وصار يلبس به على باطله فهؤلاء هم الذين سماهم الله ووصفهم بقوله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]. الآية ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحذر منهم فقال احذروهم من أن يضلوكم عن سبيل الله

---

(١) البخاري/ كتاب التفسير ـ سورة آل عمران، ومسلم/ العلم/ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.

مِثَال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿**ألا إنَّ أوْلِيَاء الله لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون**﴾، [سورة يونس، الآية: ٦٢]. وأنَّ الشَفَاعة حَقٌّ، وأنَّ الأنْبِيَاء لَهُمْ جَاهٌ عِند الله، أو ذَكَرَ كَلاماً للنبي صلى الله عليه وسلم، يَسْتَدلُ بِهِ على شيءٍ مِنْ بَاطِله، وأنْتَ لا تَفْهم مَعْنى الْكلام الذي ذَكَرَهُ، فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إنَّ الله ذَكَر في كِتَابِهِ أنَّ الذين في قُلُوبِهِم زَيْغ يَتْرُكُون الْمُحْكَم ويَتَّبِعُون الْمُتَشَابِهَ.

باتباع هذا المتشابه واحذروا طريقهم أيضاً فالتحذير هنا يشمل التحذير عن طريقهم والتحذير منهم أيضاً، ثم ضرب المؤلف لهم مثلاً بأن يقول لك المشرك أليس الله يقول: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ أوليس للأولياء جاه عند الله سبحانه وتعالى؟ أو ليست الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة؟ وما أشبه ذلك من هذه الأشياء فقل: نعم كل هذا حق ولكنه ليس فيه دليل على أن تشرك بهؤلاء الأولياء، أو بهؤلاء الرسل، أو بهولاء الذين عندهم شفاعة عند الله ـ عز وجل ـ ودعواك أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتج بها إلا مبطل وما أنت إلا من الذين قال الله فيهم: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**﴾ ولو أنك رددت هذا المتشابه إلى المحكم لعلمت أن هذا لا دليل لك فيه.

وَمَا ذَكَرْتُه لك من أنَّ الله تَعَالى ذكر أنَّ المُشْرِكِين يُقِرُّون بالرُّبُوبِيَّة، وأنَّ كُفْرهم بِتَعلُّقِهم على الملائِكة والأنْبِياء والأوْلِياء مع قولهم: ﴿هَؤلاء شُفعَاؤنا عِنْد الله﴾ [سورة يونس، الآية ١٨] هذا أمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ لا يَقْدِرُ أحَدٌ أنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاه (١).

وَمَا ذَكَرْتَ لي أيُّها المُشْرِك مِن القُرآن أوْ كلام النبي صَلَّى الله عليه وسَلَّم، لا أعْرِف مَعْنَاهُ، وَلكِن أقْطَعُ أنَّ كلام الله لا يَتَنَاقضُ، وأنَّ كلام النبي صَلَّى الله عليه وسلم لا يُخَالِف كلام الله (٢).

---

(١) ذكر المؤلف - رحمه الله - كيف نرد المتشابه إلى المحكم أن المشركين كانوا مقرون بتوحيد الربوبية ويؤمنون بذلك إيماناً لا شك فيه عندهم ولكنهم يعبدون الملائكة وغيرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومع هذا كانوا مشركين استباح النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وأموالهم وهذا نص محكم لا اشتباه فيه دال على أن الله لا شريك له في ألوهيته وفي عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته وملكه، وأن من أشرك بالله في ألوهيته فهو مشرك وإن وحّده في الربوبية.

(٢) قوله - رحمه الله - «ما ذكرت أيها المشرك من كلام الله تعالى وكلام رسوله لا أعرف معناه، ولكني أعلم أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله» يريد بقوله: «لا أعرف معناه» أي لا أعرف معناه الذي

أنت تدعيه، وإنني أنكره ولا أقر به، لأنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله، قال تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**﴾ [سورة النحل، الآية: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿**لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٤]، وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله، وكذلك كلام الله لا يناقض بعضه بعضا، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه لا شريك له، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...**»[1] إلى آخر الحديث، وهذا كله يؤيد بعضه بعضاً، ويدل على أن الله تعالى ليس له شريك في الألوهية كما أنه ليس له شريك في الربوبية.

---

(١) البخاري/ الإيمان/ باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، ومسلم/ كتاب الإيمان/ باب بيان أركان الإسلام.

وَهَذا جَوَابٌ جَيدٌ سَدِيدٌ (١) ولكنْ لا يَفْهمُه (٢) إلاّ من وَفّقَهُ الله فلا تَسْتهن به، فإنّه كما قال تعالى: ﴿ومَا يُلَقَّاها إلاّ الذين صَبَرُوا وما يُلقَّاهاإلا ذو حَظٍّ عَظِيم﴾ [سورة فصلت، الآية ٣٥].

وأمَّـا الجـوابُ المُفَصَّل (٣) فإنَّ أعْداء الله لهمُ اعْترَاضاتٌ

---

(١) قوله رحمه الله: «وهذا جواب جيد سديد» يعني قول الإنسان لخصمه أن كلام الله تعالى لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف كلام الله، وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم، فهذا أجاب بجواب سديد أي ساد لمحله لا يمكن لأحد أن يناقضه، أو يرد عليه ما ينقضه لأنه كلام محكم مبني على الدليلين. السمعي، والعقلي وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه.

(٢) قولـه: «ولكن لا يفهمه... إلخ» يعني أن هذا الجواب لا يفهمـه إلا من وفقـه الله فكشف عنـه فتنـة الشبهات وفتنة الشهـوات ثم استـدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ أي ما يوفق للدفع بالتي هي أحسن.

(٣) قولـه رحمـه الله تعالى: «أما الجواب المفصل... إلخ» لأن الجواب الأول كان مجملاً يرد به الإنسان على كل شبهة، ثم هناك جواب مفصل أي مميز بعضه عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها.

كثيرة على دين الرُّسُل يَصُدُّون بها النَّاس عنْهُ، منها: قولُهُم نحنُ لا نُشْرِك بالله، بل نَشْهَدُ أنَّهُ لا يَخْلُق ولا يرْزُقُ ولا يَنفعُ ولا يَضرُّ إلا الله وحْدَهُ لا شريك لهُ، وأنَّ مُحَمَّداً صَلَّى الله عليه وسلم لا يَمْلِكُ لنَفْسه نفْعاً ولا ضَراً فَضْلاً عن عَبْدالقَادر أو غيْره.

ولَكِنْ أنا مُذْنِبٌ، والصَّالحُون لَهُم جاهٌ عِنْد الله، وأطْلُبُ من الله بهِمْ، فَجَاوِبْه بما تَقَدَّم وُهُو: أنَّ الذِين قَاتَلَهُم رسول الله صَلَّى الله عليـه وَسَلَّم مُقِرُّون بِمَا ذَكَرْت، ومُقِرُّون بأن أوْثَانَهُم لا تُدَبِّرُ شيْئاً، وإنَّمَا أرَادُوا الجاه والشَّفَاعة(١)

فإذا قال لك المشرك: أنا لا أشرك بالله، بل أشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عمن دونه صلى الله عليه وآله وسلم، كعبد القادر يعني ابن موسى الجيلاني - على خلاف في اسم أبيه - كان من كبار الزهاد والمتصوفين ولد سنة ٤٧١ بجيلان وتوفي سنة ٥٦١ في بغداد وكان حنبلي المذهب، وهذا هو التوحيد، فهذه شبهة يلبس بها ولكنها شبهة داحضة لا تفيده شيئاً.

(١) قوله «ولكن أنا مذنب. . . إلخ» هذا بقية كلام المشبه، فأجبه بأن ما ذكرت هو ما كان عليه المشركون الذين قاتلهم النبي

وَقْرأ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ الله في كِتَابِهِ ووضَّحَهُ(١).

صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم ونساءهم وأموالهم، ولم يغنهم هذا التوحيد شيئاً.

(١) قوله: «واقرأ عليه ما ذكر الله تعالى في كتابه ووضحه»، يريد بذلك أن تقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه من توحيد الألوهية فإنه جل وعلا أبدأ فيه وأعاد وكرر من أجل تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم فقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] وقال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٨] وقال تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿فإيي فاعبدون﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٥٦] إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب توحيد الله - عز وجل - في عبادته، وأن لا يعبد أحد سواه، فإذا اقتنع بذلك فهذا هو المطلوب وإن لم يقتنع فهو مكابر معاند يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ [سورة النمل، الآية: ١٤].

فإنْ قالَ: هَؤلاء (١) الآيـاتُ نَزلت فِيمَنْ يَعْبُد الأصْنَام، كَيْفَ تَجْعَلُون الصَّـالِحِينَ مِثْل الأصْنَامِ؟ أمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأنبياء أصْناماً؟ فَجاوِبْه بِمَا تَقَدَّمَ.

فَإنَّـه إذا (٢) أقَـرَّ أن الكُفَّارَ يَشْهَدُون بالرُّبُوبِيَّة كُلِّها لله، وأنَّهُم ما أرَادُوا مِمَّن قَصَدُوا إلاَّ الشَّفَاعَة، ولَكِنْ أرَادَ أن يَفرقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَهُ.

فَـاذْكُـرْ لَـهُ أنَّ الْكُفَّـارَ مِنهُـمْ مَـنْ يَـدْعُـو الأصْنـامَ، وَمِنْهُـمْ مَـن

---

(١) قوله: «فإن قال: هؤلاء» يعني أهل الشرك هذه الآيات نزلت في المشركين الذين يعبدون الأصنام، وهؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام.

فجاويه بما تقدم أي بأن كل من عبد غير الله فقد جعل معبـوده وثنـاً فأي فرق بين من عبـد الأصنام وعبد الأنبياء والأولياء؟! إذ أن الجميع لا يغني شيئاً عن عابديه.

(٢) يقـول: «فـإنه» أي هذا القائل يعلم أن المشركين قد أقروا بالربوبية، وأن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء وخالقه ومالكه، ولكنهم عبدوا هذه الأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم فقد أقر بأن مقصودهم كمقصوده ومع ذلك لم ينفعهم هذا الاعتقاد كما سبق.

يَدْعُو الأَوْلياء الذين قال الله فيهم ﴿أُوْلئك الَّذين يَدْعُونَ يَبْتَغُون إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [سورة الإسراء. الآية ٥٧]. وَيَدْعُون عيسى بن مَرْيم وأُمَّهُ وَقَدْ قال الله تعالى: ﴿مَّا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَم إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مالا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً والله هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ (١)[سورة المائدة، الآيتان: ٧٥، ٧٦].

---

(١) قوله: «فاذكر له. . . . إلخ» جواب قوله: «فإنه إذا أقر أن الكفار. . . إلخ» يعني فاذكر له أن هؤلاء المشركين منهم من يدعو الأصنام لطلب الشفاعة كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود، ومنهم من يعبد الأولياء كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود والمعبود، ودليل أنهم يدعون الأولياء قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ وكذلك يعبدون الأنبياء كعبادة النصارى المسيح ابن مريم، وكذلك يعبدون الملائكة كقوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ [سورة سبأ، الآية: ٤٠]. الآية، فتبين بذلك الجواب عن تلبيسه بكون المشركين يعبدون الأصنام وهو يعبد الأولياء والصالحين من وجهين:

وَاذْكُرْ لَهُ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُون قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُون الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنون﴾ (١) [سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١].

وَقَوْلَهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهينِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي

= **الوجه الأول**: أنه لا صحة لتلبيسه لأن من أولئك المشركين من يعبد الأولياء والصالحين.

الوجه الثاني: لو قدرنا أن أولئك المشركين لا يعبدون إلا الأصنام فلا فرق بينه وبينهم لأن الكل عبد من لا يغني عنه شيئاً.

(١) قوله: «واذكر له قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة﴾» الآيتين، هذه معطوفة على قوله سابقاً: «فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام . . . إلخ». والمقصود من هذا أن يتبين له أن من الكفار من يعبد الملائكة وهم من خيار خلق الله وأوليائه فيبطل تلبيسه بأن الفرق بينه وبين الكفار أنه هو يدعو الصالحين والأولياء، والكفار يعبدون الأصنام من الأحجار ونحوها.

أن أقُول ما لَيْسَ لِي بِحقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما في نفْسي ولا أعْلَمُ ما في نفسِك إنَّك أنْتَ علاّمُ الغُيُوبِ﴾(١) [سورة المائدة، الآية ١١٦].

فقُلْ لَهُ: أَعَرَفْتَ أنّ الله كفّر مَنْ قصد الاصْنام، وكَفَّرَ أيْضاً مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ وَقَاتلَهُمْ رسُول الله صَلَّى الله عليه وسلم؟(٢).

فإنْ قَال: (٣) الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ وَأنَا أشْهَدُ أنَّ الله هُو

---

(١) قوله: «وقوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾» الآية، أي واذكر له قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى...﴾ لتلقمه حجراً في أن الكفار كانوا يعبدون الأولياء والصالحين فلا فرق بينه وبين أولئك الكفار.

(٢) قوله: «**فقل له... إلخ**» أي قل ذلك مبيناً له أن الله سبحانه وتعالى كَفَّر من عبد الصالحين، ومن عبد الأصنام، والنبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ولم ينفعهم أن كان المعبودون من أولياء الله وأنبيائه.

(٣) قوله: «**فإن قال**» يعني هذا المشرك، الكفار يريدون منهم أي يريدون أن ينفعوهم أو يضروهم وأنا لا أريد إلا من الله، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، وأنا لا أعتقد فيهم ولكن أتقرب بهم إلى الله - عز وجل - ليكونوا شفعاء.

النَّافعُ الضَّارُّ المُدَبِّر لا أُرِيدُ إلاَّ مِنْهُ، والصَّالحُون لَيس لَهُمْ مِن الأَمْر شيء ولكن أقْصُدُهُم أرْجُو من الله شَفَاعَتَهُم

فالجوَابُ: أنَّ هذا قَوْلُ الكُفَّار سَواءٌ بسواء وأَقْرأ عليْه قوْلَهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣] وَقَوْلَهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨].

واعْلَمْ: أنَّ هَذِهِ الشُّبَه الثَّلاثَ هي أكْبَرُ ما عِنْدَهُمْ، فإذا عَرَفْتَ أنَّ الله وَضَّحها لَنَا في كِتَابِهِ وَفَهِمْتَها فهماً جيِّداً فما بَعْدَها أيْسَرُ مِنْها (١).

فقل له: وكذلك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هم لا يعبدون هؤلاء الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى عنهم: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وقال: ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ فتكون حالهُ كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء.

(١) قوله رحمه الله تعالى: «هذه الشبه الثلاث»:-
الشبهة الأولى:- قولهم: «أننا لا نعبد الأصنام إنما نعبد الأولياء».

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا الله، وَهَذا الإِلْتِجَاء إِلى الصَّالِحِينَ وَدَعاؤهُمْ لَيْسَ بِعِبادَة.

فَقُـلْ لهُ: أَنْتَ تُقِـرُّ أَنَّ الله فَرَضَ عَلَيْـك إِخْلاصَ الْعِبَادة لله (١) وَهُوْ حَقُّهُ عَلَيْك. فَإِذَا قَال نَعَمْ فَقُل لهُ: بَيِّنْ لِي هذا الذي

الشبهة الثانية :ـ قولهم : «أننا ما قصدناهم وإنما قصدنا الله ـ عز وجل ـ في العبادة».

الشبهة الثالثة :ـ قولهم : «أننا ما عبدناهم لينفعونا أو يضرونا، فإن النفع والضرر بيد الله عز وجل، ولكن ليقربونا إلى الله زلفى. فنحن قصدنا شفاعتهم بذلك، يعني فنحن لا نشرك بالله سبحانه وتعالى».

فإذا تبين لك انكشاف هذه الشبه فانكشاف ما بعدها من الشبه أهون وأيسر لأن هذه من أقوى الشبه التي يلبسون بها.

(١) إذا قال هذا الرجل المشبه أنا لست أعبدهم كما أعبد الله ـ عز وجل ـ والالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعباده فهذه شبهة.

وجوابها أن تقول: إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده. فإذا قال: نعم، فاسأله ما معنى إخلاص العبادة له؟ فإما أن يعرف ذلك، وإما أن لا يعرف، فإن كان لا يعرف فبين له ذلك ليعلم أن دعاءه للصالحين وتعلقه بهم عبادة.

فَرَض عَلَيْك وَهُو إِخْلاَصُ العِبَادَةِ لله وَحْدَهُ، وَهُوْ حَقُّهُ عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ لا يَعْرِفُ العِبَادَةَ وَلا أَنْوَاعَهَا.

فَبَيِّنْهـا لَهُ بِقَـولِـكَ: قال الله تَعَالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً، إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٥] فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذا عِبَادَةً لله فَلابُدَّ أَنْ يَقُولُ نَعَمْ، والدُّعَاء مُخُّ العِبَادَةِ (١).

فَقُلْ لَهُ (٢) إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ الله لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفاً وَطَمَعاً، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيّاً أَوْ غَيْرَهُ هَلْ أَشْرَكْتَ

---

(١) قولـه: «فبينها له» أي بين له أنواع العبادة فقل له: إن الله يقول: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ والدعاء عبادة، وإذا كان عبادة فإن دعاء غير الله يكون إشراكاً بالله - عز وجل - وعلى هذا فالذي يستحق أن يدعى ويعبد ويرجى هو الله وحده لا شريك له.

(٢) قوله: «فقل له... إلخ»، يعني إذا بينت أن الدعاء عبادة وأقر به فقل له: ألست تدعو الله تعالى في حاجة ثم تدعو في تلك الحـاجة نفسها نبياً أو غيره فهل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابـد أن يقـول: نعم لأن هذا لازم لا محالة، هذا بالنسبة للدعاء.

فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَه؟ فلابُدَّ أَنْ يَقُول: نَعَمْ. فَقُلْ لَهُ: إِذَا عَلِمْتَ بِقَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾(١) [سورة الكوثر، الآية: ٢] وأَطَعْتَ الله وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذَا عِبَادَة؟ فَلا بُدَّ أَنْ يَقُولُ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ نَبِيٍّ، أو جِنِّيٍّ أو غَيْرِهِما هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيْرَ الله؟ فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُول: نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ أيضاً(٢): المُشْرِكُون الذين نَزَلَ فيهِمُ القُرآنُ، هَلْ

---

(١) ثم انتقل المؤلف رحمه الله إلى نوع آخر من العبادة وهو النحر قال: فقل له إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ وأطعت الله ونحرت له أهذا عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم فقد أعترف أن النحر لله تعالى عبادة وعلى هذا يكون صرفه لغير الله شركاً، قال المؤلف ـ رحمه الله ـ مقرراً ذلك: «فقل له إذا نحرت لمخلوق... إلخ» وهذا إلزام واضح لا محيد عنه.

(٢) قوله: «وقل له أيضاً: المشركون... إلخ» انتقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى إلزام آخر سبقت الإشارة إليه وهو أن يسأل هذا المشبه هل كان المشركون يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك فلابد أن يقول: نعم. فيسأل مرة أخرى: هل كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك مع إقرارهم بأنهم عبيد الله وتحت قهره

كَانُـوا يَعْبُدُون المَلائِكَة والصَّالِحِينَ واللاَّتَ وغَيْر ذلك؟ فلابُدَّ أن يَقُـول: نَعَمْ، فَقُل لهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إلا في الدُّعَاء والذَّبْح والإِلْتِجَاء وَنَحْوِ ذَلِك، وإلاَّ فَهُمْ مُقِرُّون أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتحْت قَهْرِه، وأنَّ الله هو الذي يُدَبِّرُ الأمْرَ، وَلكِنْ دَعوْهُمْ وَالتجأُوا إلَيْهِمْ لِلْجَاهِ والشَّفَاعَةِ، وَهَذا ظاهِرٌ جِدّاً.

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَة رسول الله، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم وَتَبْرَأُ مِنها؟ فَقُل: لا أُنْكِرُها ولا أتبرأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الشَّافعُ المُشَفَّعُ وأرْجُو شَفَاعَتَهُ، ولكِن الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لله، كَمَا قال الله تعالى: ﴿قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ (١) [سورة الزمر، الآية: ٤٤] . . . .

وأن الله هو الذي يدبر الأمر لكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة كما سبق وهذا ما وقع فيه المشبه تماماً.

(١) قولـه: «فإن قال» يعني إذا قال لك المشرك المشبه هل تنكر شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول هذا من أجل أن يلزمك بجواز دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عسى أن يشفـع لك عنـد الله إذا دعوته، فقل له: لا أنكر هذه الشفاعة ولا أتبرأ منها، ولكني أقول إن الشفاعة لله ومرجعها كلهـا إليه وهو الذي يأذن فيها إذا شاء ولمن شاء لقول الله

وَلاَ تَكُونُ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إذْنِ الله كما قَال - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿مَنْ ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدهُ إلاَّ بإذْنِهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥] ولا يَشْفَعُ في أحَدٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ أنْ يَأْذَن الله فيه (١) كَمَا قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَلا يَشْفَعُون إلاَّ لِمَن ارْتَضَى﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨]. وَهُوَ لا يَرْضَى إلاَّ التَّوْحيدَ كمَا قَال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٨٥] . . . .

تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٤].

(١) قوله: «ولا تكون إلا بعد إذن الله . . . إلخ». بيّن - رحمه الله - أن الشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

الشرط الأول: - أن يأذن الله بها لقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

الشرط الثاني: أن يرضى الله - عز وجل - عن الشافع والمشفوع له، لقوله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾ [سورة طه، الآية: ١٠٩]، ولقول الله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨] ومن المعلوم أن الله لا يرضى إلا بالتوحيد ولا يمكن أن يرضى الكفر لقوله تعالى: ﴿إن

فإذا كانت الشَّفـاعَـةُ كُلُّها لله (١)، ولا تكُونُ إلاَّ مِنْ بعْد إذْنِه. ولا يشْفَعُ النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيْرُهُ في أَحد حتَّى يأذن الله فيه، ولا يَأذَنُ إلاَّ لأهْلِ التَّوْحيدِ، تَبَيَّنَ لك أنَّ الشُّفاعة كُلَّها لله فاطْلُبُها منْهُ، فأقُوْلُ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْني شفاعتهُ، اللهُمَّ شَفِّعْهُ فيَّ، وأمْثَال هذا.

فإنْ قالَ(٢): النَّبيُّ صَلَّى الله عليْه وسلم أُعطي الشفاعة وأنا أطْلُبُهُ ممَّا أعْطَاه الله؟

تكفـروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعبـاده الكفـر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [سورة الزمر، الآية: ٧]، فإذا كان لا يرضى الكفر فإنه لا يأذن بالشفاعة للكافر.

(١) قوله: «فإذا كانت الشفاعة كلها لله... إلخ» أراد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أنه إذا كانت الشفاعة لله، ولا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن ارتضى ولا يرضى إلا التوحيد لزم من ذلك أن لا تطلب الشفاعة إلا من الله تعالى لا من النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم شفع فيّ نبيك اللهم لا تحرمني شفاعته وأمثال ذلك.

(٢) قوله: «فإن قال» أي المشرك الذي يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة فأنا أطلبها منه.

فَالْجَوابُ: أنَّ الله أعْطَاهُ الشَّفَاعَة وَنَهَاكَ عن هذا فقال ﴿فَلا تَدْعُـو مَعَ الله أَحَداً﴾ [سورة الجن، الآية ١٨] فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو الله أَنْ يُشفعَ نَبيَّهُ فِيْك فَأطعْهُ في قَوْله: ﴿فَلا تَدْعُو مع الله أحَداً﴾ وأيْضاً

فالجواب: من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تشرك به في دعائه فقال: **﴿فلا تدعو مع الله أحداً﴾**.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أعطاه الشفاعة ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه الله، ومن كان مشركاً فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع له كما قال تعالى: **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾**. [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨].

الثالث: إن الله تعالى أعطى الشفاعة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، فقل له: هل تطلب الشفاعة من كل هؤلاء؟ فإن قال: لا. فقد خصم وبطل قوله وإن قال: نعم. رجع إلى القول بعبادة الصالحين، ثم إن هذا المشرك المشبه ليس يريد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع له، ولو كان يريد ذلك لقال «اللهم شفع فيَّ نبيك محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» ولكنه يدعو الرسول

فإنَّ الشَّفَاعة أُعطِيها غَيْرُ النَّبي صلى الله عليه وسلم، فَصَحَّ أنَّ الملائِكَة يَشْفَعُون، والأوْلياء يَشْفَعُون(١)، والأفْرَاط يَشْفَعُون(٢)، أتَقُولُ: إنَّ الله أعْطاهُمُ الشَّفَاعَة فأطْلُبُها مِنْهُمْ؟

فَإنْ قُلْتَ هَذا رَجَعْت إلى عِبَادةِ الصَّالِحِين التي ذَكَر الله في

ﷺ مباشرة ودعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة، فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعو مع الله غيره أن يشفع له أحد عند الله سبحانه وتعالى؟!.

(١) وقال المؤلف «إن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون» سنده حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي رواه مسلم مطولاً وفيه فيقول الله - عز وجل - «شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون»[١] الحديث.

(٢) وقوله «والأفراط يشفعون» الأفراط هم الذين ماتوا قبل البلوغ وسنده حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»[٢] أخرجه البخاري وله عنه وعن أبي سعيد من حديث آخر «لم يبلغو الحنث»[٣].

(١) مسلم/ كتاب الإيمان/ باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) - (٣) البخاري/كتاب الجنائز/ باب فضل من مات له ولد فاحتسب.

كتابه، وإنْ قُلْتُ: لا. بَطَل قَوْلُك: «أعْطاهُ الله الشَّفَاعَة وأنا أطْلُبُهُ مِمَّا أعْطَاهُ الله».

فَإنْ قَال: أنَا لا أُشْرِكُ بالله شيئاً حاشَا وكلاَّ، وَلَكِنْ الألْتِجَاء إلى الصَّالِحِين لَيْسَ بِشِرْك.

فَقُلْ لَهُ: إذَا كُنْتَ تُقِرُّ أنَّ الله حَرَّم الشِّرْك أعْظم من تَحْريم الزِّنا، وَتُقِرُّ أنَّ الله لا يَغْفِرُهُ، فَمَا هذا الأمْرُ الذي حَرَّمَهُ الله وذكر أنَّهُ لا يَغْفِرُهُ؟ فإنَّهُ لا يَدْرِي (١).

فَقُــلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّىء نَفْسَــك (٢) مِنَ الشِّرْكِ وأنْتَ لا

---

(١) إذا قال هذا المشرك أنــا لا أشرك بالله شيئــاً والالتجــاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فجوابه أن يقال له: ألست تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وأن الله لا يغفره فما هذا الشرك؟ فإنه سوف لا يدري ولا يجيب بالصواب ما دام يعتقد أن طلب الشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بشرك فهو دليل على أنه لا يعرف الشرك الـذي عظمـه الله تعـالى وقـال فيه: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٣].

(٢) قولـه: «فقل له كيف تبرىء نفسك... إلخ» يعني إذا برأ نفسه من الشرك بلجوئه إلى الصالحين فجوابه من وجهين:

تَعْرِفُهُ؟ أَمْ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ ولا تَسْأَل عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ ولا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، فَقُلْ لَهُ: ما مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ والأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ (١).

الأول: أن يقال كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه، وهل الحكم على الشيء إلا بعد تصوره فحكمك براءة نفسك من الشرك وأنت لا تعلمه حكم بلا علم فيكون مردوداً.

الوجه الثاني. أن يقال لماذا؟ لا تسأل عن الشرك الذي حرمه الله تعالى أعظم من تحريم قتل النفس والزنا وأوجب لفاعله النار وحرم عليه الجنة أتظن أن الله حرمه على عباده ولم يبينه لهم حاشاه من ذلك.

(١) يعني إذا قال لك المشرك المشبه: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فأجبه بجوابين:

الأول: قل له ما هي عبادة الأصنام؟ أتظن أن من عبدها يعتقد أنها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فإن زعم ذلك فقد كذب القرآن.

وإنْ قال (١): هُو منْ قصد خشَبةً، أوْ حجراً، أو بنية على قبْر أوْ غيْره، يدْعُون ذلك ويذْبحُون لهُ ويقُولُون إنَّهُ يُقرِّبُنا إلى الله زُلْفى، ويَدْفعُ الله عَنَّا ببَركَته أو يُعْطينا ببركَته.

فَقُلْ: صَدقْتَ، وَهَذا هُو فعْلُكُمْ عنْد الأحْجَار والأبنيَة التي على القُبُور وغَيْرها، فهذا أقرَّ أنَّ فعْلهُم هَذا هُوَ عبَادة الأصْنَام فهُو المطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أيْضًا: قَوْلُكَ الشِّرْكُ عبَادَةُ الأصْنَام، هَلْ مُرَادُك أنَّ الشِّرْكَ مخصُوصٌ بهَذا، وأنَّ الإعْتِمَاد على الصَّالِحِين ودُعَاءَهُمْ لا يَدْخُلُ في ذَلِك؟ فَهَذا يَرُدُّهُ ما ذَكَر الله في كِتَابِهِ مِنْ كُفْر مَنْ تَعَلَّقَ على الملائِكَةِ أو عيسى أو الصَّالحِين (٢) فَلابُدَّ أنْ يُقرَّ لك أنَّ من

---

(١) قوله: «وإن قال... إلخ» هذا مقابل قولنا «إن زعم ذلك فقد كذب القرآن» يعني إن قال عبادة الأصنام أن يقصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى قلنا: صدقت وهذا هو فعلك سواء بسواء وعليه فتكون مشركاً بإقرارك على نفسك وهذا هو المطلوب.

(٢) قوله «ويقال له أيضاً قولك: الشرك عبادة الأصنام» إلى قوله «وهذا هو المطلوب» هذا هو الجواب الثاني أن يقال: هل

أشْرَكَ في عِبَادة الله أحدًا مِن الصَّالِحِين فَهُو الشِّرْكُ المَذْكُورُ في القُرْآن وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

وَسِرُّ المَسْأَلةِ (١): أنَّهُ إذا قال أنا لا أُشْرِكُ بالله.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بالله؟ فَسِّرْهُ لي؟

فإنْ قال (٢): هُوَ عِبَادَةُ الأصْنَام.

مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاء الصالحين لا يدخل في ذلك، فهذا يرده القرآن، فلابد ان يقر لك بأن من أشرك في عبادة أحد من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب.

(١) قوله: «وسر المسألة» يعني لبها أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فاسأله ما معنى الشرك؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، فاسأله ما معنى عبادة الأصنام؟ ثم جادله على ما سبق بيانه.

(٢) قوله: «فإن قال... إلخ» يعني إذا ادعى هذا المشرك أنه لا يعبد إلا الله وحده فاسأله: ما معنى عبادة الله وحده؟ وحينئذ لا يخلو من ثلاث حالات:

الأولى: أن يفسرها بما دل عليه القرآن فهذا هو المطلوب والمقبول، وبه يتبين أنه لم يحقق عبادة الله وحده حيث أشرك به.

الثانية: أن لا يعرف معناها، فيقال: كيف تدعي شيئاً

فَقُلْ: وما مَعْنَى عِبَادَةُ الأَصْنَام؟ فَسِّرْهَا لي (١).

فَإنْ قَال: أنا لا أعْبُدُ إلا الله. فَقُلْ: ما مَعْنَى عبادة الله فَسِّرْهَا لي؟ فَإنْ فَسَّرَها بِمَا بَيَّنَهُ القُرْآنُ فَهُو المَطْلُوب، وإنْ لَمْ يَعْرِفه فَكَيف يَدَّعَي شيئًا وهو لا يَعْرِفُهُ؟

وإنْ فَسَّر ذلك بِغَيْر مَعْنَاه بَيَّنْت لهُ الآيَاتِ الوَاضِحَات في مَعْنَى الشِّرْك بالله وعبادة الأَوْثانِ وأنَّه الذي يَفْعَلُونَهُ في هذا الزَّمَانِ بِعَيْنِه.

وأنت لا تعرفه؟ أم كيف تحكم به لنفسك والحكم على الشيء فرع عن تصوره؟.

الثالثة: أن يفسر عبادة الله بغير معناها، وحينئذ يبين له خطؤه ببيان المعنى الشرعي للشرك وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه بعينه ويدعون أنهم موحدون غير مشركين.

(١) يعني ويبين له أيضًا أن عبادة الله وحده هي التي ينكرونها علينا ويصرخون بها علينا كما فعل ذلك أسلافهم حين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾[سورة ص، الآيات ٥-٧].

وأنَّ عِبَادة الله وَحْدَه لا شَريك له هي التي يُنْكِرُون علينا وَيصِيحُون فِيْهِ كما صاح إِخْوَانُهم حَيْثُ قَالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلهة إلهاً واحِداً إن هذا لشيء عُجَابٌ﴾[سورة ص، الآية: ٥].

فَإذَا عَرفْتَ (١) أنَّ هَذَا الَّـذي يُسَمِّيه المُشْرِكُون في زَمَانِنَا «كَبيرَ الاعْتِقَاد» هُوَ الشِرْكُ الذي نَزَل فِيْهِ القُرْآن، وقَاتَل رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم النَّاس عَلَيْه، فَاعْلَم أنَّ شِرْك الأوَّلِينَ أخَفُّ مِنْ شِرْك أهْـلِ زَمَـانِنَـا بِأمْرَين أحَدُهُمَا: أنَّ الأوَّلِين لا يُشْرِكُون ولا

(١) قولـه: «إذا عرفت» يعني علمت معنى العبادة وأن ما عليه أولئك المشركون في زمنه هو ما كان المشركون عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عرفت أن شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين: -

الـوجـه الأول -: أن هؤلاء يشركـون بالله في الشـدة والرخاء، وأما أولئك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يشركون في الرخاء، ويخلصون في حال الشدة، كما قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعـون إلا إيـاه...﴾ الآية فكـانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لا يدعون غيره ولا يسألون سواه، ثم إذا أنجاهم إلى البر إذا هم يشركون، أو فريق منهم بربهم يشركون، فهذا هو وجه*.

(*) انظر الوجه الثاني ص ١٠٣.

يدْعُون الملائكة والأوْلِياء والأوْثَان مع الله إلاّ في الرَّخَاء، وأمَّا الشِّدَة فَيُخْلِصُون لله الدُّعَاء كَمَا قال تعالى: ﴿وَإذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البَحْر ضَلَّ من تَدْعُون إلاَّ إياه فلما نَجَّاكُم إلى البرِّ أعْرَضْتُم وكان الإنْسَانُ كَفُوراً﴾[سورة الإسراء، الآية: ٦٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أرأيْتُكُمْ إنْ أتَاكُمْ عَذَابُ الله أو أتَتْكُمُ السَّاعة أغَيْرَ الله تَدْعُـون إنْ كُنْتُمْ صادقين، بل إيَّاهُ تَدْعُون فَيَكْشِفُ ما تَدْعُون إليْهِ إنْ شاء وتَنْسَون ما تُشْرِكُونَ﴾ (١)[سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠، ٤١].

وَقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَإذَا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إلَيْهِ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِك قَلِيلاً إنَّك من أصْحَاب النَّارِ﴾ (٢) [سورة الزمر، الآية: ٨] . . . .

---

(١) وهذه أيضاً تدل على أنهم كانوا يشركون في حال الرخاء وأنهم إذا أتاهم عذاب أو أتتهم الساعة فإنهم لا يدعون غير الله، كما قال تعالى: ﴿**بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون**﴾ فهم في هذه الحال ينسون ما يشركون، ولا يدعون سوى الله عز وجل.

(٢) وهذه أيضاً كالآيتين اللتين قبلها، تدل على أن الإنسان إذا مسه الضر دعا ربه منيباً إليه، ولكنه إذا خوله نعمة منه نسي

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (١) [سورة لقمان، الآية: ٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ التِي وضَّحَها الله في كتابه وهي أنَّ المُشْرِكِين الَّذين قَاتَلَهُمْ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم يَدْعُون الله ويَدْعُون غَيْرَهُ في الرَّخَاء، وأمَّا في الضَّرَّاء والشِّدَّةِ فَلا يَدْعُون إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له وَيَنْسَوْن سادتهم(٢) . . . .

ما كان يدعو إليه من قبل، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله . . فيشرك في حال الرخاء ويخلص في حال الشدة.

(١) هذه أيضاً كالآيات السابقة تدل على أن هؤلاء المشركين إنما يشركون بالله في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيلجأون لله وحده.

(٢) يبين - رحمه الله - أن المشركين في زمانه أشد شركاً من مشركي زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن مشركي زمانه يدعون غير الله في الرخاء وفي الشدة، وأما المشركون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنهم يدعون الله ويدعون غيره في حال الرخاء، وأما في حال الشدة فلا يدعون إلا الله عز وجل، وهذا يدل على أن شرك المشركين في زمانه - رحمه الله - أعظم من شرك المشركين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وشِرْكِ الأَوَّلِين وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهمُ قَلْبُهُ هَذِهِ المَسْأَلة فَهْماً رَاسِخاً، والله المُسْتَعانُ(١).

الأَمْرُ الثَّاني: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مع الله أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْد الله إِمَّا أَنْبِيَاء، وإِمَّا أَوْلِياء، وإِمَّا مَلائِكَة، أو يَدْعُون أَشْجارًا، أَوْ أَحْجَارًا مُطِيعة لله لَيْسَت عَاصِيَة. وأَهْلُ زَمانِنَا يَدْعُون مع الله أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاس، والذين يَدْعُونَهُمْ هُمُ الذين يَحْكُون عَنْهُمُ الفُجُورُ مِنَ الزِّنَا والسَّرِقَةِ وَتَرْكِ الصَّلاةِ وَغَيْر ذلك (٢).

---

(١) قوله: «تبين له الفرق... إلخ» هذا جواب قوله: «فمن فهم هذه المسألة... إلخ» أي تبين له الفرق، بين مشركي زمانه - رحمه الله - والمشركين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه، ولكن أين من يفهم قلبه ذلك، أكثر الناس في غفلة عن هذا وأكثر الناس يلبس عليهم الحق بالباطل فيظنون الباطل حقاً كما يظنون الحق باطلاً.

(٢) قوله: «الأمر الثاني» أي في بيان أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه - رحمه الله - أن المشركين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، يدعون أناساً مقربين من أولياء الله - عز وجل - أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ذليلة له، أما

وَالَّـذِي يَعْتَقِد في الصَّالح أَوْ الَّذي لا يَعْصي مثْل الخَشَب والحَجَر أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشاهِدُ فِسْقَهُ وفَسَاده ويَشْهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذين قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، أَصَحُّ عُقُـولاً، وأَخَفُّ شِركاً مِنْ هؤلاء، فاعْلَمْ أَنَّ لِهؤلاء شُبْهة يُورِدُونها على ما ذَكَـرْنـا وهي من أعْظَم شُبَهِهِمْ، فأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوابِهَا وَهِي:

أَنَّهُمْ يَقُولُون: إِنَّ الذين نَزَل فِيهِم القُرْآن لا يَشْهَدون أن لا إله إلا الله، ويُكَذِّبُون الرَّسُول صلى الله عليه وسلم، وَيُنْكِرُونَ البَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآن وَيَجْعَلُونَهُ سِحْراً، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لا إله إلَّا الله وأَنَّ مُحَمَّـداً رَسُولُ الله وَنُصَدِّقُ القُرْآن، ونُؤمِنُ بِالبَعْث، ونُصَلِّي وَنَصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلوننا مِثْل أُولئك؟(١) . . . .

هؤلاء أعني المشركين في زمانه فإنهم يدعون من يحكون عنهم الفجور والزنا والسرقة وغير ذلك من معاصي الله - عز وجل - ومعلوم أن من يعتقد في الصالح، أو الجماد الذي لا يعصي الله تعالى أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه ويشهد به وهذا ظاهر.

(١) في هذه الجملة يبين - رحمه الله - شبهة من أعظم شبههم ويجيب عنها فيقول: إذا تحققت أن المشركين في عهده عليه

فَالجَوَابُ : ـ أَنَّهُ لا خِلافَ بَيْنَ العُلَماءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذا صَدَّقَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ، في شيءٍ وكَذَّبَهُ في شيءٍ ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ في الإِسلامِ ، وكَذلكَ إذا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَه كَمَنْ أَقَرَّ بالتَّوحيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاةِ ، أَوْ أَقَرَّ بالتَّوْحيدِ والصَّلاةِ وجَحَدَ وجُوبَ الزكاةِ ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقر بهذا كُله وَجَحَدَ الحجَّ ، ولَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ في زَمَنِ النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وسلم ، لِلحَجِّ أَنْزَلَ الله في حَقِّهِمْ ﴿ولله على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ من اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً وَمَن كَفَر فإن الله غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾ (١)[سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

الصلاة والسلام أصح عقولاً وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أنهم يوردون شبهة حيث يقولون إن المشركين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولا يؤمنون بالبعث ولا الحساب ويكذبون القرآن ، ونحن يعني (مشركي زمانه) نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ر سول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان فكيف تجعلوننا مثلهم ، وهذه شبهة عظيمة .

(١) يقول رحمه الله : إنهم إذا قالوا هذا ، يعني أنهم يشهدون أن لا

إلـه إلا الله وأن محمـداً رسـول الله . . . إلخ ، يعني فكيف يكونون كفاراً؟ .

وجوابه أن يقال :

إن العلماء أجمعوا على أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وكذب به ، فهو كمن كذب بالجميع وكفر به ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميع الأنبياء لقول الله تعالى : ﴿إن الـذيـن يكفـرون بـالله ورسلـه ويـريـدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً﴾ [سورة النساء، الآيتان: ١٥٠، ١٥١]، وقـولـه تعالى في بني إسرائيل: ﴿أفتؤمنـون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعـل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيـامـة يردون إلى أشـد العـذاب ومـا الله بغـافـل عما تعملون﴾[سورة البقرة، الآية: ٨٥] .

ثم ضرب المؤلف لذلك أمثلة :

المثـال الأول: الصـلاة فمن أقر بالتوحيد وأنكر وجوب الصلاة فهو كافر.

قوله: «أو أقر بالتوحيد . . . إلخ» هذا هو المثال الثاني وهو من أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة فإنه يكون كافراً.

ومَنْ أقَرَّ بهَذا كُلِّه (١) وجَحَد البَعْثَ كَفَر بالإجْمَاع ، وَحَلَّ دَمُـهُ وَمَـالـهُ . كما قال تعـالى : ﴿إنَّ الَّـذِينَ يَكْفُرُونَ باللهِ وَرُسُلِهِ ويُرِيدُونَ أنْ يُفرِّقُوا بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ وَيَقُولُون نَؤمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ

المثال الثالث: من أقر بوجوب ما سبق وجحد وجوب الصوم فإنه يكون كافراً.

المثال الرابع: من أقر بذلك كله وجحد وجوب الحج فإنه كافر، واستدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر - يعني من كفر بكون الحج واجباً أو جبه الله على عباده - فإن الله غني عن العالمين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

قول المؤلف - رحمه الله - «ولما لم ينقد... إلخ» ظاهره أن للآية سبب نزول هو هذا ولم أعلم لما ذكره الشيخ دليلاً.

(١) قوله: «ومن أقر بهذا كله» أي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجوب الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، لكنه كذب بالبعث فإنه كافر بالله لقول الله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾[سورة التغابن، الآية: ٧]. وقد حكى المؤلف - رحمه الله - الإجماع على ذلك.

بِبَعْض وَيُريدُون أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلك سَبيلاً أولئك هُمُ الْكَافِرُون حَقاً وأَعْتَدْنَا لِلْكافِرينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (١) [سورة النساء، الآيتان: ١٥٠، ١٥١].

فَإِذَا كَانَ الله قَدْ صَرَّح في كِتَابِهِ: أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْض وكَفَرَ بِبَعْض فَهُو الكَافِرُ حَقاً زَالَتْ هذه الشُّبْهَةُ، وَهَذِهِ هِي الَّتي ذَكَرَها بَعْضُ أَهْلِ الإِحْسَاء في كِتَابِهِ الذي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا(٢).

وَيُقال أَيْضاً (٣) إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّق الرَّسُول صَلَّى الله عليه وَسَلَّم في كُلِّ شيء وَجَحَد وُجُوبَ الصَّلاةِ أَنَّهُ كَافِرٌ حَلالُ الدَّم

---

(١) قوله: «كما قال الله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ الآية»، سبق الكلام على هذه الآية، وقد ساقها المؤلف مستدلاً بها على أن الإيمان ببعض الحق دون بعض كفر بالجميع كما قرره بقوله.

(٢) لا أعلم عن هذا الكتاب شيئاً فليبحث عنه.

(٣) قوله: «ويقال أيضاً إذا كنت تقر أن من صدق الرسول... إلخ» هذا جواب ثان فإن مضمونه أنك إذا عرفت وأقررت بأن من جحد الصلاة والزكاة والصيام والحج والبعث كافر بالله العظيم، ولو أقر بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سوى ذلك فكيف تنكر أن يكون من جحد التوحيد

والمَال بالإجْماع، وكَذلِك إذا أقرَّ بِكُلِّ شيء إلاَّ البَعْث، وكَذلِك لَو جَحَدَ وُجُوبَ صَوْم رمضَان وَصَدَّق بِذَلِك كله لا تَخْتَلِفُ المَذاهِبُ فِيهِ. وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآن كَمَا قَدَّمْنَا.

فَمَعْلُوم أن التَّوْحِيد هُو أعْظَم فَرِيضَةٍ جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وَهُـو أعْظَمُ من الصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوْم، والحَجِّ فَكَيْف إذَا جَحَد الإنْسَان شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الأمُورِ كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ

وأشرك بالله تعالى كافراً؟ إن هذا لشيء عجيب، أن تجعل من جحد التوحيد مسلماً، ومن جحد وجوب هذه الأشياء كافراً، مع أن التوحيد هو أعظم ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو أعم ما جاءت به الرسل، فجميع الرسل قد أرسلت به، كما قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾**[سورة الأنبياء، الآية: ٢٥] وهو أصل هذه الواجبات التي يكفر من أنكر وجوبها إذ لا تصح إلا به كما قال الله تعالى: **﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾**، [سورة الزمر، الآية: ٦٥]. فإذا كان من أنكر وجوب الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو أنكر البعث كافراً، فمنكر التوحيد أشد كفراً وأبين وأظهر.

ما جَاء بِهِ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم؟ وإذَا جَحَد التَّوْحِيدَ الذي هُو دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لا يَكْفُر؟ سُبحان الله، ما أعْجَبَ هذا الجَهْل!

وَيُقَالُ أيْضًا :(١) هَؤلاء أصْحَابُ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قَاتلُوا بَنِي حَنِيفة وَقَدْ أسْلَمُوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وَهُمْ يَشْهَدُون أنَّ لا إله إلا الله وَأنَّ مُحَمدًا رَسُول الله صلى الله عليه وآله وَسَلَّم وَيُؤذِّنُون وَيُصَلُّون.

---

(١) قوله: «ويقال أيضاً هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم... إلخ» هذا جواب ثالث ومضمونه أن الصحابة رضى الله عنهم قاتلوا مسيلمة وأصحابه[١]، واستحلوا دماءهم وأموالهم مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤذنون، ويصلون وهم إنما رفعوا رجلا إلى مرتبة النبي، فكيف بمن رفع مخلوقاً إلى مرتبة جبار السموات والأرض أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقاً إلى منزلة مخلوق آخر؟! وهذا أمر واضح، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾[سورة الروم، الآية: ٥٩].

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب استتابة المرتدين/ باب قتل من أبى قبول الفرائض.

فإن قال إنَّهُمْ يَقُولون: إنَّ مُسَيْلَمَة نَبِيٌّ.

فَقُلْ: هذا هُوَ المَطْلُوبُ إذَا كان مَنْ رَفَع رَجُلاً إلى رُتْبَةِ النبي صلى الله عليه وسلم كَفَر وَحَلَّ مَالَهُ وَدَمَهُ ولم تَنْفَعه الشّهادتان ولا الصَّلاة، فَكَيْف بِمَنْ رَفَع شَمْسَان أوْ يُوسُف أوْ صَحابياً أو نَبِيّاً إلى مَرْتَبَةِ جَبّار السَّمـوات والأرْض؟ سُبحان الله، ما أعْظَم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله عَلَى قُلوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُون﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٩].

وَيُقَالُ أيْضاً(١) الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) قولـه: «ويقـال أيضـاً إن الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنـار(١). إلخ»، هذا جواب رابع فقد كان هؤلاء يدعون الإسلام، وتعلموا من الصحابة ومع ذلك لم يمنعهم هذا من الحكم بكفرهم، وتحريقهم بالنار لأنهم قالوا في علي ابن أبي طالب إنه إله، مثل ما يدعي هؤلاء بمن يؤلهونهم، كشمسان وغيره.

فكيف أجمـع الصحابة رضى الله عنهم على قتل هؤلاء، أتظنون أن الصحابة رضى الله عنهم يجمعون على قتل من لا

---

(١) أثر علي رضي الله عنه أخرجه البخاري/ كتاب استتابة المرتدين/ باب حكم المرتد والمرتد

بالنَّار كُلُّهُمْ يدَّعُون الإسْلام وهُمْ مِنْ أصْحاب علي رضي الله عنه وَتَعلَّمُوا العلْمَ من الصَّحابة ولَكن اعْتقدُوا في عليٍّ مثل الإعْتِقاد في يُوسُف وشمْسان وأمْثالِهِمَا، فكَيْف أجْمع الصَّحَابَةُ على قَتْلِهِمْ وكُفْرهِمْ؟ أتظُنُّون أنَّ الصَّحَابة يُكَفِّرون المسلمين؟ أم تَظُنُّونَ أنَّ الإعْتقَاد في تاجٍ وأمْثَاله لا يضُرُّ والاعْتِقَاد في عَليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟

ويُقَالُ أيْضاً: بَنُو عُبَيْدٍ القَدّاح (١) الَّذين ملَكوا المغْرب ومصْر في زمانِ بني العبَّاسِ كُلُّهُمْ يَشْهدُون أنْ لا إله إلا الله وأنَّ

يحل قتله، وتكفير من ليس بكافر؟! ذلك لا يمكن أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يضر.

(١) قوله: «ويقال أيضاً بنو عبيد القداح... إلخ» هذا جواب خامس وهو إجماع العلماء على كفر بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر وكانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون الجمعة والجماعات ويدعون أنهم مسلمين، ولكن ذلك لم يمنعهم من حكم المسلمين عليهم بالردة حين أظهروا مخالفة المسلمين في أشياء دون التوحيد حتى قاتلوهم واستنفذوا ما بأيديهم.

محمداً رسول الله، ويدْعُون الإسْلام. ويُصلُّونَ الجُمُعة والجَماعَة، فَلمَّا أظْهرُوا مُخَالفة الشَّريعةِ في أشْياء دُون ما نَحْنُ فِيه أجْمَع العُلَماء على كُفْرهم وقِتَالِهِمْ، وأنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْب، وغَزَاهُمُ المُسْلِمُون حتَّى اسْتَنْقذُوا ما بأيْديهم مِنْ بُلْدَانِ المُسْلمين.

وَيُقَال أيْضاً(١): إذَا كَانَ الأوَّلُون لَمْ يَكْفُرُوا إلا أنَّهم جَمَعُوا بَيْنَ

---

(١) قوله: «**ويقال أيضاً إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم... إلخ**» هذا جواب سادس مضمونه أنه إذا كان الأولون لم يكفروا إلا حين جمعوا جميع أنواع الكفر من الشرك والتكذيب والاستكبار فما معنى ذكر أنواع من الكفر في (باب حكم المرتد) كل نوع منها يكفر حتى ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب، فلولا أن الكفر يحصل بفعل نوع منه وإن كان الفاعل مستقيماً في جانب آخر لم يكن لذكر الأنواع فائدة.

يقول رحمه الله تعالى: ومما يدفع شبه هؤلاء، هم الفقهاء في كل مذهب، ذكروا في كتبهم (باب حكم المرتد) وذكروا أنواعاً كثيرة، حتى ذكروا الكلمة يذكرها الإنسان بلسانه ولا يعتقدها بقلبه، أو يذكرها على سبيل المزح، ومع ذلك كفروهم وأخرجوهم من الإسلام بها وسيأتي لذلك مزيد بيان وايضاح.

الشِّرْك وَتَكْذِيب الرَّسُولِ والقُرْآن، وإنْكَارِ البَعْثِ وَغيْر ذلك فما مَعْنى الباب الذي ذَكر العُلَمَاءُ في كُلّ مذهب: (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدّ) وَهُوَ المُسْلِمُ الذي يَكْفُرُ بَعْد إسْلامِهِ، ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْواعاً كَثِيرَة كُلُّ نَوْع مِنْهـا يُكَفِّرُ وَيحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَاله، حَتَّى أنَّهُمْ ذَكَرُوا أشْيَاء يَسِيرَةً عِنْد مَنْ فَعَلَها، مِثْلُ كَلِمةٍ يَذْكُرُها بِلِسَانِهِ دُون قَلْبِه، أوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُها على وَجْهِ المَزْحِ واللَّعِب.

وَيُقَالُ أيْضاً: الَّذِين قال الله فيهم (١) ﴿يَحْلِفُون بالله ما قَالُوا

---

(١) قولـه: «ويقـال أيضاً الذين قال الله فيهم ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ . . . إلخ» هذا جواب سابع مضمونه واقعتان:

الأولى: أن الله تعـالى حكم بكفـر المنافقين الذين قالوا كلمة الكفر مع أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصلون ويزكون ويحجون ويجاهدون ويوحدون.

الثانية: أنه حكم بكفر المنافقين الذين استهزؤا بالله وآياته ورســوله وقالوا «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء»[1] يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحـابـه القـراء فأنـزل الله فيهم ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله

---

(١) ابن جرير الطبري جـ١٤ وابن كثير جـ٢ ص٣٨١.

وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [سورة التوبة، الآية ٧٤] أَمَا سَمِعْتَ الله كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مع كَوْنِهِمْ في زَمَنِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ويُجَاهِدُون مَعَهُ وَيُصَلُّونَ، ويُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، ويُوَحِّدُون، وكَذَلِكَ الذينَ قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِا لله وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِئون لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٦]. فَهَؤلاء الذين صَرَّح الله فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِم وَهُمْ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غَزْوَةِ تَبُوك قَالُوا كلِمَةً ذكروا أَنَّهُم قالوها على وَجْهِ المزح فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ وهي قَوْلُهُم:

تُكَفِّرُون من المُسْلمين أُناساً يَشْهَدُون أن لا إله إلا الله ويُصَلُّون ويَصُومُون ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابها فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ ما في هَذِهِ الأوراقِ.

كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. فحكم بكفرهم بعد إيمانهم مع أنهم ذكروا أنهم كانوا يستهزءون ولم يقولوا ذلك على سبيل الجد، وكانوا يصلون ويتصدقون، ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أن الجواب على هذه الشبهة من أنفع ما في هذه الأوراق.

وَمِنَ الـدَّلِيـلِ على ذلـك (١) أيْضاً ما حكى الله عن بني إسْرَائيـل مع إسْـلامِهم وعِلْمِهِم وصَـلاحِهِمْ أنَّهُمْ قالوا لموسى:

(١) قوله: «ومن الدليل على ذلك» أي على أن الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو كفر من حيث لا يشعر قول بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ وقول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم «الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهـة قال إنكم قوم تجهلون﴾ [سـورة الأعـراف، الآية: ١٣٨]. لتركبن سنن من كان قبلكم»[1] وهذا يدل على أن موسى ومحمـداً عليهـما الصلاة والسلام قد أنكرا ذلك غاية الإنكار وهذا هو المطلوب، فإن هذين النبيين الكريمين لم يقرا أقوامهما على هذا الطلب الذي طلبوه بل أنكراه.

وقـد شبـه بعض المشركـين في هذا الـدليل فقـال: إن الصحابة وبني اسرائيل لم يكفروا بذلك.

وجواب هذه الشبهة: أن الصحابة وبني إسرائيل لم يفعلوا ذلك حين لقوا من الرسولين الكريمَين إنكار ذلك.

(١) اخرجه الإمام أحمد (٥/٢١٨)، والترمذي (١٧٧١) وقال: حديث حسن صحيح.

﴿اجْعَلْ لنَا إلهاً كما لَهُمْ آلهة﴾ [سورة الأعراف. الآية ١٣٨] وقَوْل أُناس من الصَّحَابَةِ: «اجْعَلْ لنا ذاتَ أنْواطٍ» فَحَلف النبي صلى الله عليه وسلم، أنَّ هَذا نظير قول بني إسْرَائِيل اجْعَلْ لنا إلهاً.

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِين شُبْهَةٌ يُدْلُون بها عِنْد هَذِه القِصَّةِ وهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُون: إنَّ بني إسْرَائيل لم يَكْفُروا بِذَلك، وكَذلك الَّذين قالُوا للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم اجْعَل لنا ذات أنْواطٍ لَمْ يَكْفُروا.

فَالجَوَابُ: أنْ نَقُول إنَّ بَني إسْرَائيل لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِك، وكَذلك الذين سَأَلُوا النبي صلى الله عليه وسلم، لم يَفْعَلوا ذلك، ولا خلاف أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لَكَفرُوا، وكَذَلك لا خلاف في أنَّ الذِينَ نَهَاهُمْ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لَوْ لَمْ يُطيعُوهُ واتَّخَذُوا ذات أنْواطٍ بَعْد نَهْيِه لكَفرُوا وَهَذا هُوَ المَطْلُوبُ.

وَلَكِنْ هَذِهِ القِصَّةُ تُفِيدُ أَنَّ المُسْلم - بَل العَالِم - قَدْ يَقَعُ في أنْواعٍ مِنَ الشِّرْكِ لا يَدْري عَنْها فَتُفِيدُ التَّعَلُّم والتَّحرُّز ومَعْرفَة أنَّ قَول الجَاهِل (التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ) أنَّ هذا مِنْ أكْبَرِ الجَهْلِ ومَكَايِدِ الشَّيْطَانِ (١).

---

(١) هذا شروع في بيان ما تفيده هذه القصة أعني قصة الأنواط وبني إسرائيل من الفوائد:

وَتُفِيدُ أيْضاً أنَّ المُسْلِم المُجْتَهِد (١) إذا تَكَلَّم بِكَلام كُفْرٍ وَهُو لا يَدْرِي فَنُبه على ذلك فَتَاب من ساعَتِه أنّه لا يَكْفُرُ كما فعل بَنُو إسْرائِيل والَّذين سألُوا النبي صلى الله عليه وسلم.
وتُفِيـدُ أنَّـهُ لو لم يَكْفُرْ (٢) فَإنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْه الكلام تَغْليظاً

الفائدة الأولى: أن الإنسان وإن كان عالماً قد يخفى عليه بعض أنـواع الشرك، وهـذا يوجب على الإنسان أن يتعلم ويعرف حتى لا يقع في الشرك وهو لا يدري، وأنه إذا قال أنا أعرف الشرك وهو لا يعرفه كان ذلك من أخطر ما يكون على العبد، لأن هذا جهل مركب، والجهل المركب شر من الجهل البسيط، لأن الجاهل جهلاً بسيطاً يتعلم وينتفع بعلمه، وأما الجاهل جهلاً مركباً فإنه يظن نفسه عالماً وهو جاهل فيستمر فيما هو عليه من العمل المخالف للشريعة.

(١) قولـه: «ويفيد أيضاً أن المسلم المجتهد... إلخ» هذه هي الفائدة الثانية أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلاً بذلك ثم نبه فانتبه وتاب في الحال فإن ذلك لا يضره لأنه معذور بجهله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما لو استمر على ما علمه من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله.

(٢) قوله: «وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر... إلخ» هذه هي الفائدة الثالثة، أن الإنسان وإن كان لا يدري عن الشيء إذا طلب

شَدِيداً كَمَا فَعَل رَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وَلِلْمُشْرِكين شُبْهَةٌ أُخْرَى (١) يَقُولُون: إنَّ النَّبِيَّ صلى الله

ما يكون به الكفر فإنه يغلظ عليه تغليظاً شديداً؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه «**الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**» وهذا إنكار ظاهر.

(١) قوله: «**وللمشركين شبهة أخرى... إلخ**» يعني للمشركين المشبهين شبهة أخرى مع ما سبق من الشبهات وهي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنه قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله فقال: «**أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله**» وما زال يكررها عليه الصلاة والسلام على أسامة حتى قال أسامة: «**تمنيت أني لم أكن أسلمت بعد**»[١]، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[٢] وأمثال ذلك من الأحاديث التي يستدلون بها على أن من قال: «لا إله

---

(١) البخاري/ كتاب المغازي/ باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد، ومسلم كتاب الإيمان/ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله.

(٢) البخاري/ كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة ومسلم كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

عليه وسلم أَنْكر على أُسَامَة قَتْل مَنْ قال: «لا إله إلا الله»، وكذلك قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِل النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله» وأَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قالها، وَمُرَادُ هَؤلاء الجَهَلَةِ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لا يُكفرُ، ولا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَل مَا فَعَلَ.

فَيُقَال لهؤلاء المُشْرِكين الجُهَّال: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قَاتَلَ اليَهُود وَسَبَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُون: لا إله إلا الله، وأَنَّ أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَة وَهُمْ يَشْهَدُون أن لا إله إلا الله وأَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ الله وَيُصَلُّونَ ويَدَّعُون الإِسْلام، وكَذَلِك الَّذين حَرَّقَهُم عَلِيٌّ بن أبي طالب بالنَّارِ (١).

إلا الله» لا يكفر ولايقتل وإن كان على الشرك من جهة أخرى، وهذا من الجهل العظيم، فليس قول «لا إله إلا الله» منجياً من عذاب النار ومخلصاً للإنسان من الشرك إذا كان يشرك من جهة أخرى.

(١) قوله: «فيقال لهؤلاء المشركين الجهال... إلخ» هذا جواب الشبهة التي أوردها هؤلاء الجهال فيما سبق وجوابها بما يلي:

أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله.

ثانياً: أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله

وَهَؤلاء الجَهَلةُ مُقِرُّونَ أنَّ مَنْ أنْكَرَ البَعْثَ كَفر وقُتِل وَلَو قال لا إله إلا الله، وأنَّ مَنْ جَحَد شَيئاً من أرْكَانِ الإسلام كَفر وَقُتِل وَلَوْ قَالَها، فَكَيْف لا تَنْفَعُه إذا جَحَد فَرعاً من الفُرُوع، وتَنْفَعُهُ إذا جَحَد التَّوْحِيدُ الذي هُوَ أصْلُ دِين الرسُل ورأْسُهُ؟ (١).

وَلَكِنْ أعْداء الله ما فَهِمُوا مَعْنَى الأحَادِيث: فَأمَّا حَدِيثُ أُسَامَة فإنَهُ قَتَل رَجُلاً ادَّعَى الإسْلام بِسَبَب أنَّهُ ظَنَّ أنَّهُ ما ادَّعَى

إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون أنهم مسلمون.

ثالثاً: أن الذين حرقهم علي بن أبي طالب كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله.

(١) قوله: «وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث... إلخ» هذا إلزام لهؤلاء الجهال واحتجاج عليهم بمثل ما قالوا به، فقد قالوا إن من أنكر البعث فإنه يقتل كافراً، ويقولون من جحد وجوب شيء من أركان الإسلام، فإنه يحكم بكفره ويقتل وإن قال لا إله إلا الله، فكيف لا يكفر ولا يقتل من يجحد التوحيد الذي هو أساس الدين وإن قال لا إله إلا الله؟! أفلا يكون هذا أحق بالتكفير ممن جحد وجوب الصلاة، أو وجوب الزكاة؟!، وهذا إلزام صحيح لا محيد عنه.

الإسْلام إلاّ خَوْفاً على دَمِهِ وَمَالِه ، والرَّجُلُ إذا أظْهَرَ الإسْلام وَجَبَ الكَفُّ عَنْه حتّى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِك ، وأنْزَل الله تعالى في ذلك ﴿يَاأيُّها الذين آمَنُوا إذا ضَرَبْتُمْ في سبيل الله فَتَبَيَّنُوا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٤] أيْ فَتَثَبَّتُوا ، فالآية تَدُلُّ على أنَّهُ يَجبُ الكَفُّ عَنْهُ والتَّثَبُّتُ ، فإذا تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْد ذَلِك ما يُخَالِفُ الإسْلام قُتِلَ لِقوله تعالى : ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ وَلوْ كان لا يُقْتَلُ إذَا قَالها لَمْ يَكُنْ للتَّثَبُّتِ معنى (١) .

---

(١) قوله : «ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث . . . إلخ» .
يعني الأحاديث التي شبهوا بها ثم أخذ رحمه الله يبين معناها فقال :

فأما حديث أسامة، يعني الحديث الذي قتل فيه أسامة رضي الله عنه من قال لا إله إلا الله حين لحقه أسامة ليقتله وكان مشركاً، فقال: «لا إله إلا الله»، فقتله أسامة لظنه أنه لم يكن مخلصاً في قوله وإنما قاله تخلصاً فليس فيه دليل على أن كل من قال «لا إله إلا الله» فهو مسلم ومعصوم الدم، ولكن فيه دليل على أنه يجب الكف عمن قال «لا إله إلا الله»، ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين واستدل المؤلف لذلك بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٤]. الآية، فأمر الله تبارك وتعالى بالتبين أي التثبت وهذا يدل على أنه إذا تبين أن الأمر كان خلاف ما كان

وكَذلِكَ الحديثُ الآخرُ وأمْثالُهُ مَعْناهُ ما ذَكَرْناهُ أنَّ مَنْ أظْهَرَ التَّوحِيد والإسْلامَ وَجَبَ الكَفُّ عَنْه إلى أنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ ما يُنَاقِضُ ذَلِك والدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «أقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال لا إله إلا الله» وَقَال : «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إله إلا الله» هُوَ الذي قال في الخَوارِج «أيْنَما لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلوهُم لَئِنْ أدْرَكْتُهُمْ لأقْتُلَنَّهُمْ قَتْل عادٍ» مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيـلاً وتَسْبِيحاً، حَتَّى أنَّ الصَّحَابَة يَحْقُرُون أنْفُسَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنْ الصَّحابَة فَلَمْ تَنْفَعْهُم لا إله إلا الله، ولا كَثْرَةُ العِبَادَةِ، ولا ادِّعَاءُ الإسْلامِ لَمَّا ظَهَر مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ (١).

عليه فإنه يجب أن يعامل بما يتبين من حاله، فإذا بان منه ما يخالف الإسلام قتل ولو كان لا يقتل مطلقاً إذا قالها لم يكن فائدة للأمر بالتثبت.

وعلى كل حال فإن حديث أسامة رضي الله عنه ليس فيه دليل على أن من قال «لا إله إلا الله» وهو مشرك يعبد الأصنام والأموات والملائكة والجن وغير ذلك يكون مسلماً.

(١) قوله: «وكذلك الحديث الآخر وأمثاله» يريد بالحديث الآخر قوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس.. إلخ» فبين رحمه الله تعالى أن معنى الحديث أن من أظهر الإسلام

علم ما أنـزله الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة قال الله تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾، [سورة الزمر، الآية: ٩] **وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[١] وقال النبي ﷺ: **«إن الأنبياء لم يورثـوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»**[٢] ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم الشريعة، ومع هذا فنحن لا ننكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله كانت خيراً ومصلحة، وقد ذكر بعض أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية وهذا محل نظر ونزاع.

وعلى كل حال فالعلم الذي ورد الثناء فيه وعلى طالبيه هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك فإن كان وسيلة إلى

---

(١) أخرجه البخاري/ كتاب العلم/ باب من يرد الله به خيراً، ومسلم/ كتاب الزكاة/ باب النهي عن المسألة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد جـ٥ ص١٩٦، وأبوداود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨١) وابن ماجه (٢٢٣) والدارمي (٣٣٨) والبغوي في «شرح السنة» جـ١ ص٢٧٥ برقم [١٢٩]، والهيثمي في «موارد الظمآن» [٨٠]، قال الحافظ في «الفتح» جـ١ ص١٦٠ «وله شواهد يتقوى بها».

وكَـذَلِـكَ مَا ذَكَـرْنَـاهُ من قِتَال اليَهُودِ، وَقِتَال الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَـة، وكَـذَلِـكَ أرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْـه وَسَلَّم أنْ يَغْزَو بَنِي الْمُصْـطَلق لَمَّا أخْبَرَهُ رَجُلٌ أنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاة حَتَّى أنْزَل الله تعالى: ﴿يَاأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَينوا﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٦]. وكَانَ الرَّجُلُ كَاذِباً عَلَيْهِمْ * ، وكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلى أنَّ مُرَادَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلم في الأحَادِيثِ التي احْتَجُّوا بِهَا مَا ذَكَرْنَاه (١).

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرى: وَهُوَ ما ذَكَر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ النَّاس يَوْمَ القِيامَة يَسْتَغِيثُون بآدَم، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بإبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسى، ثُمَّ بعيسى فَكُلُّهُمْ يَعْتَذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالُوا: فَهَذا يَدُلُّ على أنَّ الاسْتِغَاثة بِغَيْر الله لَيْسَتْ شِركًا.

وَالجوابُ: أنْ نَقُولُ سُبْحَان مَنْ طَبَع على قُلُوبِ أعْدَائِهِ فَإنَّ

---

(١) وهو أن مجرد قول «لا إله إلا الله» ليس مانعاً من القتل بل يجوز قتال من قالها إذا وجد سبب يقتضي قتاله.

---

* أخرجه ابن جرير الطبري جـ٢٦ ص١٢٣، وابن كثير جـ٤ ص١٨٧ وقال: «قد روى طرق لهذا الحديث من أحسنها مارواه الإمام أحمد»، والهيثمي في «المجمع» جـ٧ ص١١١ وقال «رواه أحمد ورجاله ثقات».

الاسْتِغَاثَة بِالْمَخْلُوق فِيْمَا يَقْدِرُ عَلَيْه لا نُنْكِرُها، كَمَا قال الله تعالى في قِصَّةِ مُوسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ على الَّذي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥]. وكَمَا يَسْتَغِيثُ الإنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ في الحَرْبِ أَوْ غَيْرِهِ في أشْياء يَقْدِرُ عَلَيْها المَخْلُوقُ، وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ التي يَفْعَلُونَهَا عِنْد قُبُورِ الأوْلِيَاء، أَوْ في غَيْبَتِهِم في الأشْياء التي لا يَقْدِرُ عَلَيْها إلاَّ الله (١).

إِذَا ثَبَتَ ذلك فَاسْتِغَاثَتُهُم بالأنْبِيَاء يَوْمَ القِيَامَةِ يُرِيدُون مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا الله أنْ يُحَاسب النَّاس حَتَّى يَسْتَرِيح أَهْلُ الجَنة مِنْ كَرْبِ

---

(١) قوله: «ولهم شبهة أخرى» يعني في أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً وقد أجاب عنها بجوابين:

الأول: أن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه وهذا لا ينكر لقوله تعالى في قصة موسى: **﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾**.

الجواب الثاني: أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة، ولكنهم يستشفعون بهم عند الله ـ عز وجل ـ ليزيل هذه الشدة، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك.

المَوْقف وهَذَا جَائِزٌ في الدُّنْيا والآخِرة، وذَلك أن تَأتي عِنْد رَجُلٍ صَالحٍ حي يُجَالِسك ويَسْمَعُ كَلامكَ فتَقُولُ له: ادْعُ الله لي، كَمَا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَسْألُونه ذلك في حَيَاتِه، وأمَّا بَعْد مَوْتِه فَحَاشا وكَلا أنَّهُمْ سَألُوه ذلك عِنْد قَبْرِه، بَلْ أنْكَرَ السَّلَفُ الصَّالحَ على مَنْ قَصَد دُعَاء الله عِنْد قَبْرِه فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نفْسِه؟(١)

---

(١) قوله: «إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء... إلخ» هذا هو الجواب الثاني وهو أن استغاثتهم بالأنبياء من باب طلب دعائهم إلى الله ـ عز وجل ـ أن يريح الخلق من هذا الموقف العظيم، وليس دعاءاً لهم، بل طلب دعائهم لربهم عز وجل، وهذا أمر جائز كما أن الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال: «يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، ولم يقل فأغثنا يا رسول الله، بل قال: «فادع الله يغيثنا»، فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه وقال: «اللهم أغثنا» ثلاث مرات، فأنشأ الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت، ولم يرو الشمس أسبوعاً كاملاً، والمطر ينهمر، وفي الجمعة التالية

دخل رجل أو الرجل الأول فقال: «يا رسول الله غرق المال، وتهدم البناء فادع الله تعالى يمسكها عنا» فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه وقال: **«اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية، ومنابت الشجر»**،[1] فانفرجت السماء وخرج الصحابة يمشون في الشمس.

فهذا طلب دعاء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لله - عز وجل - وليس دعاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا استغاثة به، وبهذا يعرف أن هذه الشبهة التي لبس بها هؤلاء شبهة لا تنفعهم بل هي حجة داحضة عند الله عز وجل.

ثم ذكر المؤلف - رحمه الله - أنه لا بأس أن تأتي لرجل صالح تعرفه وتعرف صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك، وهذا حق إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدناً له كلما رأى رجلاً صالحاً قال ادع الله لي، فإن هذا ليس من عادة السلف رضي الله عنهم، وفيه إتكال على دعاء الغير، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيراً له لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله - عز وجل -، فإن الدعاء من العبادة كما قال الله

(1) أخرجه البخاري/ كتاب الاستسقاء/ باب الاستسقاء في خطبة الجمعة، ومسلم/ كتاب صلاة الاستسقاء/ باب الدعاء في الاستسقاء.

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ (١) أُخْرَى وهي: قِصَّةُ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام لَمَّا أُلْقِيَ في النَّار اعْتَرَضَ لهُ جِبْرِيلُ في الهواء فَقَال: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فقال

تعالى ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠]. الآية، والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على الله عز وجل في حصول المنفعة ودفع المضرة، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو الله له فإنه يعتمد على ذلك الغير وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه بالله عز وجل، وهذا الأمر فيه خطورة وقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ «إذا طلب الإنسان من شخص أن يدعو له فإن هذا من المسألة المذمومة» فينبغي للإنسان إذا طلب من شخص أن يدعو له أن ينوي بذلك نفع ذلك الغير بدعائه له، فإنه يؤجر على هذا وربما ينال ما جاء به الحديث أن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمين ولك بمثلها.

(١) قوله: «ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار... إلخ». والجواب عن هذه الشبهة:
أن جبريل إنما عرض عليه أمراً ممكناً يمكن أن يقوم به فلو أذن الله لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه الله تعالى من القوة فإن جبريل كما وصفه الله تعالى ﴿شديد القوى﴾ [سورة النجم، الآية: ٥] فلو أمره الله أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره أن يحمل إبراهيم إلى مكان بعيد عنهم

إبْرَاهِيمُ: أمَّا إلَيْك فلا، قالوا: فَلَوْ كَانَتْ الاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيل شِرْكاً لَمْ يَعْـرِضْهـا على إبْـرَاهِيم؟ فَالجَوَاب: أنَّ هَذا مِنْ جِنْس الشُّبْهَةِ الأوْلى: فَإنَّ جِبْرِيل عَرَض عَلَيْه أنْ يَنْفَعَهُ بِأمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْه، فَإنَّهُ كَمَا قال الله تعالى فِيهِ ﴿شَدِيدُ القُوَى﴾ [سورة النجم، الآية: ٥] فَلَوْ أذِنَ الله لهُ أنْ يَأخُذَ نَار إبْرَاهِيم وَمَا حَوْلها من الأرْضِ والجِبَال ويُلْقِيها في المَشْرِق أوْ المَغْرب لفَعَل، وَلو أمَرَهُ أن يَضَع إبْرَاهِيمَ في مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهم لفعل، وَلَوْ أمَرَه أنْ يَرْفَعَهُ إلى السَّمَاء لَفَعل، وهَذَا كَرَجُل غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرى رَجُلاً مُحتاجاً فَيَعْرض عَلَيْهِ أنْ يُقْرِضَهُ، أوْ أنْ يَهَبَه شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ فَيَأبى ذلك الرَّجُلُ المُحْتَاج أنْ يَأخُذَ ويَصْبر إلى أنْ يَأتيه الله بِرِزق لا مِنَّة فِيه لأحَدٍ. فَأيْنَ هَذَا مِن اسْتِغَاثة العِبَادةِ والشِرْكِ لو كَانوا يَفْقَهُون؟! . . . .

لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

ثم ضرب المؤلف بهذا مثلاً رجل غني أتى إلى فقير فقال هل لك حاجة في المال؟ من قرض أو هبة أو غير ذلك؟ فإنما هذا مما يقدر عليه، ولا يعد هذا شركاً لو قال نعم لي حاجة أقرضني، أو هبني لم يكن مشركاً.

وَلِنَخْتِم الكـلام (١) - إنْ شاء الله تعالى - بِمَسْألة عَظِيمَة مُهِمَّـة جِدًا تُفْهَم مِمَّا تَقَـدَّم، وَلَكِنْ نُفْرِدُ لها الكَلام لِعِظَم شَأْنِها، ولِكَثْرة الغلط فيها فَنَقُول: لا خِلاف أَنَّ التَّوْحِيد لابُدَّ أَنْ يَكُون بِالقَلْب واللِّسَان والعَمَل، فَإِنْ اخْتَل شيء مِنْ هذا لم يَكُن الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَف التَّوْحِيد ولَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَفِرْعَوْن وإِبْلِيس وأَمْثَالِهِمَا.

(١) ختم المؤلف هذه الشبهات بمسألة عظيمة هي:
أنه لابد أن يكون الإنسان موحداً بقلبه وقوله وعمله فإن كان موحداً بقلبه ولكنه لم يوحد بقوله أو بعمله فإنه غير صادق في دعواه، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسـد كله، وإذا فسـدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1] فإذا وحَّد الله كما زعم بقلبه ولكنه لم يوحده بقوله أو فعله فإنه من جنس فرعون الذي كان مستيقناً بالحق عالماً به لكنه أصر وعاند وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية، قال الله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها

(١) أخرجه البخاري/ كتاب الإيمان/ باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم/ كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات

وهَذا يَغلط فيه كثيرٌ مِنَ النَّاس يَقُولُون: هَذا حَقٌّ ونَحْنُ نَفْهَمُ هَذا، وَنشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَكِنَّا لا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ ولا يَجُوز عِنْد أهْلِ بَلَدِنا إلاَّ مَنْ وَافَقَهُم، وَغَيْرُ ذلك مِنَ الأعْذَار (١).

وَلَمْ يَدْرِ المِسْكِين (٢) أنَّ غَالِبَ أئمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُون الحَقَّ،

أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ [سورة النمل، الآية: ١٤]. وقال تعالى عن موسى أنه قال لفرعون ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٠٢].

(١) قوله: «وهذا يغلط فيه كثير من الناس... إلخ» يعني أن كثيراً من الناس يعرف الحق في هذا ويقولون نحن نعرف أن هذا هو الحق ولكننا لا نقدر عليه لمخالفته أهل بلدنا ونحو ذلك من الأعذار، وهذا العذر لا ينفعهم عند الله ـ عز وجل ـ، لأن الواجب على المرء أن يلتمس رضا الله ـ عز وجل ـ ولو سخط الناس، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله عز وجل، وهذا يشبه من يحتجون بما كان عليه آباؤهم وهم الذين حكى الله عنهم ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٢] والآية الأخرى ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٣].

(٢) قوله: «ولم يدر المسكين» أي المعدم من الفقه والبصيرة أن غالب أئمة الكفر كانوا يعرفون الحق لكنهم عاندوا فخالفوا

وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إلَّا لشيء مِنَ الأعْذَارِ كما قال تعالى: ﴿اشْتَرُوا بِآيَاتِ الله ثَمَنًا قليلاً﴾ [سورة التوبة، الآية: ٩]، وَغَيْرِ ذلك من الآيات كَقَوْلِه: ﴿يَعْرِفُونَه كَمَا يَعْرِفُون أَبْنَاءَهُمْ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَملاً ظَاهِراً (١) وَهُو لا يَفْهَمُهُ، أوْ لا

الحق كما قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ وقال: ﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ فكانوا يعتذرون بأعذار لا تنفعهم كخوف بعضهم من فوات الرئاسة وتصدر المجالس ونحو ذلك.

فكثير من أئمة الكفار يعرفون الحق ولكنهم يكرهونه ولايتبعونه، ومعرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق، لأن الجاهل بالحق يعذر، وقد يعلم فيتنبه ويتعلم بخلاف المعاند المستكبر، ولهذا كان اليهود مغضوباً عليهم لعلمهم بالحق وتركهم إياه، وكان النصارى ضالين لأنهم لم يعرفوا الحق، لكن بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان النصارى عالمين فكانوا مثل اليهود في كونهم مغضوباً عليهم.

(١) يقول رحمه الله: فإن عمل بالتوحيد ظاهراً أي باللسان والجوارح، ولكنه لم يعتقده بقلبه ولم يفهمه فإنه منافق، وهو شر من الكافر المصرح بكفره لقوله تعالى: ﴿إن المنافقين في

يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِه فَهُو مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِص لِقوله تعالى: ﴿إنَّ المُنَافِقِين فِي الدَّرْكِ الأسْفَل من النَّارِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٥].

وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ (١) تَتَبَيَّنُ لك إذَا تَأمَّلْتَها في أَلْسِنَة النَّاس تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ ويَتْرُكُ العَمَل بِهِ لِخَوْف نَقْص دُنْيا، أو جَاهٍ، أو مُدَاراة لأحَدٍ، وَتَرَى مَنْ يَعْمَل بِهِ ظاهراً لا بَاطِناً فإذَا سَألْتَهُ عَما يَعْتَقِد بِقَلْبِه فَإذا هو لا يَعْرِفُهُ وَلَكن عَلَيْك بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَاب الله:

الدرك الأسفل من النار﴾ وهذا ظاهر فيمن كان معانداً يعلم الحق ولكنه كرهه بقلبه ولم يطمئن إليه، ولم يستقر به، ولكنه أظهر الإلتزام بالشريعة خداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين، وأما من كان لا يفهمه بالكلية ولا يدري ولكنه يعمل كما يعمل الناس ولم يتبين له ذلك الشيء الذي يعملونه والمقصود منه، فإن الواجب أن يبلغ ويعلم، فإن أصر على ما هو عليه من إنكاره بقلبه فهو منافق.

(١) بين - رحمه الله - أن هذه المسألة مسألة كبيرة طويلة يعني أن تتبعها يطول بواسطة أن كثيراً من الناس قد يأبى الحق خوفاً من أن يلام عليه، أو رجاء لجاه أو دنيا، فيحتاج أن يتتبع أحوال الناس ويعرفها تماماً حتى يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيماناً خالصاً.

أُوْلاهُمَا (١): قولـه تعـالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْد إِيـمانِكُمْ﴾ [سـورة التوبة، الآية: ٦٦]، فإِذَا تَحَقَّقْت أنَّ بَعْض الصَّحَابة الَّذين غَزَوا الرُّومَ مَع رَسُول الله صلى الله عليه وسلم كَفَرُوا بِسَبب كَلِمَـة قَالُـوهـا على وَجْهِ المزح واللَّعِب تَبينَّ لك أنَّ الَّذي يَتَكَلَّمُ بالْكُفر، أوْ يَعْمَل بِهِ خَوْفاً مِنْ نَقْص مَال، أو جَاهٍ، أوْ مُدَارَاةٍ لأحَدٍ أعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكلَّمُ بِكَلِمة يَمْزَحُ بِهَا.

---

(١) يحث المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على تدبر آيتين من كتاب الله ـ عز وجل ـ:

أولاهما قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وهذ الآية نزلت في المنافقين الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه القراء.

فالمؤلف ـ رحمه الله ـ يقول إذا كان هؤلاء المنافقون الذين غزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك كفروا بكلمة قالوها على سبيل المزاح لا على سبيل الجد فما بالك بمن يكفر كفراً جدياً يريده بقلبه من أجل خوف فوات مركز، أو جاه، أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون أعظم وأعظم، فالواقع أن كلهم كفروا بعد إيمانهم سواء فعلوا ذلك استهزاءً أو فعلوه على سبيل الجـد والكفر، خوفاً أو رجاءً، فإن كل إنسان يظهر الإسلام ويبطن الكفر فهو منافق على أي وجه كان.

والآيةُ الثَّانية (١): قوله تعالى ﴿مَنْ كَفَر بالله مِنْ بَعْد إيمَانِهِ إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإِيمَان ولكن مَنْ شَرَحَ بالْكُفْرِ صَدْراً فَعَليهم غَضَبٌ من الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا على الآخِرَةِ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٦]. فَلَمْ يَعْذِر الله مِنْ هؤلاء إلَّا مَنْ أُكْرِه مَعَ كَوْن قَلْبِهِ مُطْمئناً بالإيمَان وأمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَر بَعْدَ إيمانِهِ سواءٌ فَعَلَهُ خوفاً، أو مُدَاراةً، أوْ مَشَحَّة بوَطَنِهِ أوْ أهْلِهِ أوْ عَشِيرَتِه أوْ مَالِهِ، أوْ فِعْلِه على وجهِ المَزْحِ أو لِغَيْرِ ذَلكَ مِنَ الأغْرَاض إلا المُكْرَه.

فَالآيةُ تَدُلُّ على هذا (٢) مِنْ جِهَتين:

الأولى: قولـه: ﴿إلَّا مَنْ أُكْـرِهَ﴾ فَلَمْ يَسْتَثْنِ الله تعالى إلَّا

---

(١) هذه هي الآية الثانية التي حث المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على تدبرها وهذه الآية تدل على أنه لا يعذر أحد كفر بعد إيمانه إلا من كان مكرها، وأما من كفر على سبيل الاختيار لأي غرض من الأغراض سواء كان مزاحاً، أو مشحة في وظيفة، أو دفاعاً عن وطن، أو ما أشبه ذلك فإنه يكون كافراً، فالله ـ عز وجل ـ لم يعذر من كفر إلا من كان مكرها بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان.

(٢) أي أن الله تعالى لم يستثن في الآية من الكافرين إلا من أكره، والإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل، أما عقيدة القلب

المُكْرَه، ومَعْلُومٌ أنَّ الإنْسَان لا يُكْرَه إلاَّ على الكلام أو الفِعْل وأمَّا عَقِيدَةُ القَلْب فلا يُكْرَه عَليها أحَدٌ.

والثَّانِيَة (١): قولـه تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الحَيَاة الدُّنْيا على الآخرة﴾ فَصَرَّح أنَّ هَذَا الكُفْر والعَذَاب لَمْ يَكُنْ بِسَبَب الاعْتِقَاد، أو الجَهْل، أو البُغْض للدين، أو مَحَبَّة الكُفْر وإنَّمَا سَبَبُه أنَّ لَهُ في ذلك حظاً مِنْ حظُوُظ الدُّنْيا فآثرَهُ على الدِّين.

فلا يطلع عليهـا إلا الله، ولا يتصور فيها الإكراه، لأنه لا يمكن لأحـد أن يكـره شخصاً فيقول: لابد أن تعتقد كذا وكذا؛ لأنه أمر باطن لا يعلم به، وإنما الإكراه على ما ظهر فقط بالقول أو الفعل.

(١) الـوجه الثاني: أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فكان كفرهم سببه أنهم استحبوا الدنيا على الآخرة، ويعني بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه، أو مال، أو رئاسة أو غير ذلك ممن آثر الدنيا بما فيها على الآخرة وكفره من أجل ايثار الدنيا فإنه يكون كافراً وإن لم يكن مستحباً للكفر ولكنه مستحب لحياة الدنيا فإنه يكفر، وذلك أن بعض الناس يكفر لأنه يحب الكفر ويعجبـه، وبعض النـاس يكفـر لمال، أو جاه، أو رئاسة،

والله سُبْحَانه وتعالى أَعْلَمُ وصَلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم (١).

وبعض الناس يكفر لينال بذلك شيئاً من السلطان وما أشبه ذلك فالأغراض كثيرة.

نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

(١) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى كتابه
هذا برد العلم إلى الله عز وجل والصلاة والسلام على
نبيه محمد ﷺ وبهذا انتهى كتاب كشف الشبهات
فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفه أحسن ثواب
وأن يجعل لنا نصيباً من أجره وثوابه
وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته
إنه جَواد كريم والحمد لله
رب العالمين وصلى الله وسلم
على نبينا محمد

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

شرح كشف الشبهات